شرح المقدمة النحوية

لابن بابشاذ

دراسة موضوعية بأسلوب سهل
ممتع وبتبويب جديد غير مسبوق به

تحقيق وتقديم
الدكتور محمد أبو الفتوح شريف

١٩٧٨ م

الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية

نوقش هذا البحث يوم ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٤ بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة من اللجنة المشكلة من السادة الأساتذة الدكتور عبدالحميد السيد طلب أستاذ النحو والصرف بجامعتي القاهرة والكويت (مشرفا) والدكتور إبراهيم نجا نائب رئيس جامعة الأزهر (حاليا) والدكتور أمين على السيد رئيس قسم النحو والصرف بدار العلوم (حالياً) عضوين .

وبعد مناقشة علنية استمرت قرابة أربع ساعات نال الباحث درجة دكتور في اللغة العربية وآدابها (تخصص النحو والصرف والعروض) بمرتبة الشرف الأولى .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الاهـــــداء

إلى تلك المرأة العظيمة التي وقفت ورائى تدعمنى وتحفزنى متمنية أن ترانى عظيما .

إلى من بذلت فى سبيل هذا العمل جهدها وعرقها ووفرت لى كل سبل الراحة والهدوء .

إلى العزيزة المخلصة زوجتى الوفية .

أهدى هذا الكتاب

د . محمد أبو الفتوح محمد شريف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبك يارب نستعين ، وعليك نتوكل ، وعلى رسولك الصادق الأمين نصلى ونسلم ، وبنوره نستضىء ونسترشد ، وبعد .

فموضوع هذا الكتاب : « شرح المقدمة النحوية لابن بابشاذ — تحقيق ودراسة » .

وأول صلتى بشرح المقدمة النحوية وصاحبه أبى الحسن طاهر بن أحمد ابن بابشاذ كانت منذ سنوات ، وكنت انقب بين كتب الفهارس المختلفة للمخطوطات فى كل من : معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ودار الكتب والوثائق القومية ، أقول كنت أنقب عن مخطوطات ابن خالويه الذى كان يعنينى بحثه فى رسالتى السابقة فشد انتباهى عنوان هذا الكتاب — « شرح المقدمة النحوية » لابن بابشاذ وما كتب حول أهميته فى مجال علم النحو ودور صاحبه النحوى المصرى الجليل فى خدمة هذا العلم العظيم . . فشغفت بالكتاب وصاحبه ، وتمنيت أن تتاح لى فرصة لجولة طويلة ومستوعبة بين نسخه ومخطوطاته حتى أصول وأجول بين دفاته بالبحث والدراسة والتمحيص .

وانتهيت من العمل السابق . ومازالت الفكرة ملحة ومسيطرة على والشغف بالكتاب يشدنى إليه حتى قررت الإقدام على هذا العمل .

ومما زادنى إصراراً أن ابن بابشاذ صاحب هذا الكتاب شأنه شأن غيره من الشخصيات العربية والإسلامية صاحبة التأثير فى لغتنا لم تلق الاهتمام الكافى ،

ولم يلق أحد عليها الضوء المطلوب ، فلم يحفل بأمثال هؤلاء العلماء الأفذاذ كثير من الباحثين اللهم إلا فى بعض رسائل الدراسات العليا بالجامعة .

ثم انعطفت على المكتبة العربية فوجدتها لم تحظ عن أبى الحسن طاهر ابن أحمد بن بابشاذ وتاريخه أو ترجمته وآثاره وتصانيفه المختلفة بشىء يذكر بل كانت فقيرة اللهم إلا بعض التراجم القصيرة أو المبتسرة التى انفصلها البعض من البعض الآخر . كما أن كتب صاحبى محدودة العدد قد فقد أضخمها وأكبرها وهو كتاب « تعليق الغرفة » — الذى مات قبل أن يكمله، وآثاره الموجودة لم تزل مخطوطة لم تنل العناية الكافية بعد وأهمها كتابه — « شرح المقدمة النحوية » .

فمن أجل تعلق بهذا الكتاب وصاحبه ، ومن أجل الشغف بالبحث العلمى كان اختيارى لهذا الموضوع كى أعطى الكتاب حقه من الاهتمام ، وأضعه محققا مدروسا أمام الباحثين والمهتمين بالدراسات العربية ، وأضع صاحبه فى مكانه الملائم بين أقرانه من أفذاذ علماء العربية . ومن أجل خدمة لغتنا وضم آثار علمية نفيسة وجديدة لمكتبها حتى تنهض دائما بلغة القرآن الكريم وتحافظ على مجدها طول الزمن بالرغم من كيد الكائدين لها وحقد الحاقدين عليها .

ولقد بدأت بحثى فجمعت المصادر المختلفة من مظانها ، وسعيت إليها حيث توجد فى معظم مكتباتنا العربية ، فنظرتها ووعيتها ، وحققت ماجاء فيها من آراء وتراجم تتحدث عن ابن بابشاذ وكتابه ، وتوليت تنقيتها وترتيبها ، وبحثت عن الشخصية من كافة جوانبها ليكون هذا البحث معينا التحقيق ومكملا للدراسة كما سعيت وراء المخطوط أنقب عن كافة نسخ الشرح بين كتب الفهارس المختلفة ، وسعيت أطلبها من مختلف مكتبات العالم، وبذلت فى سبيل ذلك مابذلت من الجهد والوقت والمال حتى استجلبت معظم النسخ من أماكن مختلفة من العالم فى لندن وباريس والفاتيكان ومدريد

والجامعة العربية والقاهرة ، واقتنيت « أفلامها » وكبرتها ، وعالجت من خلالها النص ،وحققته تحقيقا علميا أعتقد أنه مفيد .

وقد انتهى هذا الأمر بالبحث أن يكون فى قسمين اثنين ؛ تناول الأول منهما الدراسة كاملة ، جاءت تقديما للنص . وتناول الثانى تحقيق كتابنا : شرح المقدمة النحوية ، أو كما يسميه صاحبه أحيانا : الجمل الهادية فى شرح المقدمة الكافية ، أو الهادى فى شرح المقدمة النحوية .

وإذا أردنا الحديث عن القسم الأول فتقرر أنه قد وقع فى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وذلك على النحو الآتى :

ففى المقدمة : أعرض الموضوع عرضا عاما ، وأوضح منهج البحث وأسلوب الدراسة — كما نوضح هذه الأمور الآن .

وفى الباب الأول : اعتبرناه دراسة تمهيدية تناولنا فيها شخصية ابن بابشاذ وعصره وتحدثنا حول عدد من المسائل استغرقت ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عصره الذى عاش فيه .

والفصل الثانى : اسمه . مولده . نشأته . ثقافته . صناعته. صفاته .وفاته .

والفصل الثالث : أساتذته وتلاميذه .

وفى الباب الثانى : تناول كتبه وآراءه النحوية فقسمنا هذا الباب إلى فصلين :

الفصل الأول : يتعرض بالتفصيل والدراسة الموجزة لكتبه وآثاره العلمية الموجودة والمفقودة .

والفصل الثانى : يتعرض لآرائه من خلال كتب النحو سواء الآراء التى نقلها النحاة عن كتاب « شرح المقدمة النحوية » أو من غيرها .

أما الباب الثالث : فقد أفردناه لدراسة الأثر الهام « الجمل الهادية فى شرح المقدمة الكافية » .

وقسمناه إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : بيان ووصف النسخ المخطوطة للكتاب .

والفصل الثانى : توثيق الكتاب — ببيان بعض النماذج المنقولة عنه سواء بالنص أو بالفكرة ، ثم ترتب النسخ الخاصة بالتحقيق ترتيبا يوضح دور كل منها فى التحقيق و المطابقة .

والفصل الثالث : نوضح فيه منهج المؤلف و نقدم تحليلا موضوعيا لكتابه: « شرح المقدمة النحوية » ، وفى هذا الصدد قسمت هذا الفصل إلى ثلاث عشرة نقطة تخدم الهدف المطلوب وتحققه بطريقة علمية مقبولة .

والفصل الرابع : نتعرض فيه لموقف ابن بابشاذ من سابقيه من النحاة من خلال كتابه « شرح المقــــدمة النحوية » ، وموقف خالفيه من آرائه وكتابه هذا .

وتأتى فى نهاية هذا القسم الأول :

الخاتمة ونتائج البحث : وفيها نعرض تلخيصا لما بحثناه فى الدراسة والتحقيق ، وما استخلصناه من نتائج خرجنا بها وتوصلنا إليها .

وبعدها أورد مصادر البحث ومراجعه مستوفيا لكل بياناتها ومرتبا إياها. ثم يأتى فى النهاية فهرس مفصل بمحتويات هذا القسم ، كما أوردنا قبل المقدمة موجز المحتوياتها جميعا .

أما عن القسم الثانى وهو القسم الخاص بالتحقيق فقد قسمته على النحو التالى :

أولا : مقدمة التحقيق : وفيها أوضحت منهجى فى التحقيق بعد أن أعطيت صورة كاملة عن الكتاب المحقق ونسخه المختلفة المصورة والمخطوطة ، وأنهيت المقدمة بوضع صور « فوتوغرافية » للصفحات الأولى والأخيرة من كل نسخة .

ثانياً : النص : وفيه أوردت النص كاملا ومطابقا لما جاء بالنسخ المختلفة وذلك بعد أن حققته وضبطته ، وحققت شواهده ، ونسبت الكثير منها مستوفيا الشروح والتعليقات اللازمة .

ثالثاً : الفهارس الفنية للتحقيق . وقد صنعت فيها أحد عشر نوعا من الفهارس على النحو الآتى :

١ — الفهرس العام لمحتويات التحقيق .

٢ — فهرس الموضوعات .

٣ — فهرس شواهد القرآن الكريم .

٤ — فهرس شواهد الحديث الشريف .

٥ — فهرس شواهد الحكم والأمثال .

٦ — فهرس الأشعار والأرجاز .

٧ — فهرس الأعلام (الأشخاص) .

٨ — فهرس التراجم .

٩ — فهرس القبائل والطوائف والبطون .

١٠ — فهرس البلدان والمواضع والجبال والمياه .

١١ — فهرس الكتب الواردة بمتن التحقيق .

وقد اكتفيت فى هذه الفهارس بفهرسة متن التحقيق ونصه فقط دون الهوامش الواردة فى التحقيق .

وبعد : فهذا هو كتابنا « شرح المقدمة النحوية لابن بابشاذ — تحقيق ودراسة » نضعها بين أيدى أساتذتنا الأجلاء المهتمين بإحياء التراث كما نقدمها لكل المهتمين بالدراسات العربية راجين أن تكون قد وفقنا فى تقديم شىء جديد .

ويجدر بى أن أشير إلى أن هذا العمل قد انتهى فى أواخر عام سنة ١٩٧٣م وإن كان تأخر طبعه ونشره لظروف خارجة عن الإرادة إلى أواخر سنة ١٩٧٧ م .

والله أسأل أن يكتب لى التوفيق بقدر ما سعيت فهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير ، وهو ولى التوفيق ؟

د. محمد أبو الفتوح محمد شريف

القسم الأول

تقديم الكتاب

ويشمل ثلاثة أبواب وخاتمة . .

الباب الأول

« دراسة تمهيدية »

وفيه نرسم صورة عامة حول
شخصية ابن بابشاذ وعصره (بتوضيح الفصول الآتية) :

الفصل الأول : العصر الذى عاش فيه .

الفصل الثانى : اسمه ومولده . نشأته . ثقافته . صفاته . وفاته .

الفصل الثالث : أساتذته وتلاميذه .

الفصل الأول

عصره الذى عاش فيه

عصره الذى عاش فيه

القرن الخامس الهجرى

(أ) نبذة تاريخية :

عاش ابن بابشاذ بمصر فى القرن الخامس الهجرى بين سنتى (٤٠٠ — ٤٦٩ ﻫ) تقريبا أى فى عصر الدولة الفاطمية . ويجدر بنا ونحن نمهد لدراسة أهم آثاره النحويه أن نعرج على هذا العصر لنلقى بعض الضوء ، خاصة أن صاحبنا كان من بين رجال الدولة المشهورين فكان أستاذا وعالما وأحد وزراء ديوان الإنشاء مما يجعلنا نلم بأطراف الحديث حول مظاهر الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

فقد حكم مصر فى هذه الحقبة ثلاثة من خلفاء المسلمين الفاطميين (١) وهم :

الحاكم المنصور على أبو حسن (٣٨٦ — ٤١١ ﻫ)

وتبعه : الظاهر على أبو حسن (٤١١ — ٤٢٧ ﻫ)

وجاء بعده : المستنصر معد أبو تميم (٤٢٧ — ٤٨٧ ﻫ)

ونظرة سريعة على نظم الحكم والإدارة (٢) فى هذا العصر نجد الفاطميين قد حرصوا على نظام الوراثة فى الحكم وإن كانت بعض الأحداث قد حملتهم على الخروج عليه فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله وإن لم يوفق فى محاولته. وكان الخليفة الفاطمى يعين ولى عهده قبل وفاته ، وأحاط الفاطميون أنفسهم بهالة من التقديس ليرفعوا من شأنهم بين الناس ، وكان يلقبون أنفسهم بألقاب كثيرة منها : الخليفة الفاطمى أو العلوى أو أمير المؤمنين .

---

(١) مصر فى العصور الوسطى للدكتور على إبراهيم حسن (الطبعة الرابعة ١٩٥٤ م) صفحات من ١٣٩ — ١٥٦ ! « بتصرف » .

(٢) مصر فى الدولة الفاطمية للدكتور محمد جمال الدين سرور سنة ١٩٦٠ م ص ١٧٩ — ١٩١ (بتصرف) .

وكانت الوزارة فى العصر الفاطمى الأول (٣٥٨ — ٤٦٥ هـ) وزارة تنفيذ حيث استأثر الخلفاء بإدارة شئون الدولة .

وكانت مصر تنقسم إلى أربع ولايات فى ذلك العهد ، ولاية « قوص » ويحكم واليها بلاد الصعيد ، وولاية « الشرقية » وتشمل الأراضى الواقعة شرقى فرع دمياط ، وولاية « الغربية » وتشمل المنطقة الواقعة بين فرعى رشيد ودمياط بالإضافة إلى ولاية « الإسكندرية » ، كما عينوا واليا على « القاهرة » وآخر على « الفسطاط » .

وأشرف على شئون الإدارة عدة دواوين كان أهمها ديوان الإنشاء ، والإدارة المالية والإدارة المحلية .

وكان الموظفون فى العصر الفاطمى يتقاضون الرواتب الكبيرة ، ويمنحون الملابس والهدايا فى الأعياد والمواسم فعاشوا فى رغد من العيش .

وكان ديوان الإنشاء يعتبر أهم دواوين الإدارة فى عصرهم ، وازدادت أهميته عن العهود السابقة لأن مصر أصبحت مركزا للخلافة الفاطمية التى امتد نفوذها وأصبحت تحتاج إلى القيام بدعاية واسعة لخلفائها ، وكان يتولى شئون هذا الديوان كاتب يقال له : صاحب ديوان الإنشاء الذى كان من واجباته تسلم المكاتبات الواردة ثم عرضها على الخليفة ، وكان راتبه الشهرى مائة وخمسين دينارا ، وكان فى بعض الأحيان يتولى صاحب ديوان الإنشاء إدارة البريد .

كما اهتم الفاطميون بتنظيم الشرطة والجيش الذى يستطيعون به حماية دولتهم وتوسيع نطاق نفوذهم ، كما اهتموا بإنشاء الأسطول وديوان الجهاد .

ويجدر بنا أن نلقى نظرة أخرى على الحالة الاقتصادية(١) لمصر فى هذه الفترة فنجد أن الفاطميين قد اهتموا بالزراعة باعتبارها أهم مصادر الثروة ،

---

(١) مصر فى عصر الدولة الفاطمية ص ١٩٥ — ٢٠٤ « بتصرف » .

وعاملوا الفلاحين معاملة تنطوى على التسامح والرعاية ، كما نجد أنه قد جدت على الصناعة المصرية أساليب جديدة ، وتنوعت المنتجات لسد حاجة البلاد فتقدم كثير من الصناعات المختلفة . وكذلك ازداد النشاط التجارى فى الفسطاط والقاهرة ، وكانت الفسطاط تتمتع برخاء عظيم . وكان التعامل فى مصر يتم بالدنانير الذهبية والدراهم الفضية .

وإذا أردنا التعرف على بعض جوانب الحياة الاجتماعية (١) لمصر فى هذا العصر حيث تقلبت بين ألوان البذخ والترف نجد أنه قد تجلى بذخ الخلفاء فيما أورده المقريزى (٢) عن خزائن الفرش والأمتعة والجوهر والشراب ، كما نستدل على ترفهم من القصور التى بنوها . . وكان الوزراء الفاطميون يعيشون عيشة الترف كذلك ، وقد اهتم الفاطميون بالأعياد الدينية فى شىء كثير من الأبهة والعظمة . وكان الشعب المصرى يستقبل هذه المواسم بمظاهر الفرح والسرور . وكان خلفاء الفاطميين يحرصون على الركوب فى الجمع الثلاث الأخيرة من رمضان إلى جوامع الحاكم والأزهر وعمرو بن العاص على التوالى لصلاة الجمعة ، كما أولى الخلفاء الاحتفال بوفاء النيل كثيراً من اهتمامهم .

وكانت هناك مناسبات يجود فيها الخلفاء على كبار رجال الدولة بالخلع التى كانت ترفق برقعة من ديوان الإنشاء ، وكانت توزع النقود والملابس والأطعمة فى عيد الفطر على الأضياف والموظفين .

وكان الاهتمام بالغناء والموسيقى ، وكانت مجالس الطرب تقام على شواطىء الخليج بالقاهرة فى أوائل عهد الحاكم بأمر الله ، فلما تجلى الانحلال الاجتماعى من جراء هذه المجالس أصدر الحاكم قوانين تحرم (٣) سماع

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٥ — ٢١٦ « بتصرف » .
(٢) الخطط للمقريزى ٢/٤١٦ — ٤٢٥ « بتصرف » .
(٣) الخطط للمقريزى ٢/٢٨٧ .

الموسيقى والغناء والملاهى ، على أن هذه المجالس مالبثت أن عادت إلى الظهور بعد وفاته ، حيث كان الخليفة المستنصر بالله يميل إلى سماع المغنيات ، وكانت مجالس اللهو تعقد فى قصور الخلفاء والوزراء والأعيان حيث يجتمع العلماء والأدباء للمناظرة والمناقشة .

ويجب فى هذا المجال أن تكون لنا وقفة عند مظاهر الحياة الثقافية(١) بمصر فى تلك الحقبة فنرى أن الفاطميين قد اهتموا منذ استقر سلطانهم فى البلاد بالعمل على نشر الثقافة العلمية والأدبية فضلا عن الثقافة المذهبية التى تتصل بالدعوة الاسماعيلية كالفقه والتفسير ، وكان للجامع الأزهر أثر كبير فى النهوض بالحياة الثقافية فى مصر ، وقد ظهرت فكرة الدراسة به فى أواخر عهد المعز لدين الله ، كذلك اتخذ الفاطميون من قصورهم مراكز لنشر الثقافة فألحقوا بها مكتبات وزودوها بأندر المؤلفات وروى(٢) المقريزى أن خزانة المعتز بالله كان بها مايزيد على عشرين نسخة من تاريخ الطبرى ، وثلاثين من كتاب العين للخليل بن أحمد ومائة من الجمهرة لابن دريد ، وكان بمكتبة القصر أربعون خزانة كتب فى سائر العلوم فيها من أصناف الكتب مايزيد على مائة ألف مجلد فى الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والسير ، والفلك والكيمياء .

وقد ازدهرت الحركة العلمية والأدبية فى العصر الفاطمى بمصر بفضل تعضيد الخلفاء الفاطميين وبعض وزرائهم لها ، وقد فتح المعز لدين الله أبواب قصره للعلماء والطلاب ، وأباح لهم جميعاً الاطلاع على الكتب المختلفة بمكتبة القصر ، وحذا الخلفاء من بعده حذوه فعقدوا المجالس الأدبية والعلميه بقصورهم ودعوا إليهم الفقهاء والأدباء ليتناظروا بحضرتهم .

(١) مصر فى عصر الدولة الفاطمية للدكتور محمد جمال الدين سرور (سنة ١٩٦٠) ص ٢١٧ — ٢٢٣ « بتصرف » .

(٢) الخطط للمقريزى ١/٤٠٨ .

وقد أدى مجيء الفاطميين إلى مصر بمذهب شيعي له أسس ودعائم تخالف ما كان عليه أهل السنة في مصر إلى نشاط الحركة العقلية بها . . وعلى الرغم من تعصب الفاطميين للمذهب الاسماعيلي وتشجيعهم فقهاءه فقد ظهر في عهدهم بعض الفقهاء الشافعية والمالكية والحنفية، وكان لتشجيع الفاطميين للعلماء والكتاب أثره في ظهور طائفة كبيرة منهم في مصر ونشاط الحركة الفكرية تبعا لذلك .

(ب) المدرسة البصرية ونحاة مصر :

ولا يفوتنا ونحن نتناول القرن الخامس الهجري بالدراسة السريعة أن نعرج قليلا على المدرسة النحوية التي انتمى إليها صاحبنا ونشأ في كنفها وأشرب أصولها النحوية وهي المدرسة البصرية . . وإن كانت حياة ابن بابشاذ في معظمها بمصر فقد يقال إنه من أعلام المدرسة المصرية فنقول بأن المدرسة المصرية لم يكن لها نفس الكيان النحوي الذي تميزت به كل من مدرستي البصرة والكوفة حيث يعتبر ابن بابشاذ من أبرز العلماء المصريين الذين خدموا اللغة والنحو حتى كونوا تراثا علميا ونحويا جليلا وسلسلة متصلة وحلقة متتابعة طوال العصور والأجيال ، وقد تميز علماء مصر بالنظام والترتيب المنطقي في بحوثهم ، وعدم الميل إلى التكرار كابن هشام الذي يعتبر من تلاميذ ابن بابشاذ . وقد احتضنت مصر نخبة ممتازة من النحاة فمنهم غير صاحبنا ابن بابشاذ المتوفى سنة ٤٦٩هـ — نقول إن منهم غيره: ابن القطاع(١) المتوفى سنة ٢٥٠ هـ وابن ولاد المتوفى سنة ٣٣٢ هـ ، وأبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ، والرضى المتوفى سنة ٦٨٤هـ ، وابن منظور صاحب لسان العرب المتوفى سنة ٧١١ هـ ، وأبو حيان المتوفى سنة ٧٤٥هـ ، وابن أم قاسم المصري المتوفى سنه ٧٤٩ هـ ، وابن هشام المتوفى سنة ٧٦١هـ ، والسمين

---

(١) تحقيق شرح ابن عقيل للدكتور طه الزيني ١/٧ « بتصرف » .

المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، وابن عقيل المتوفى سنة ٧٦٩ هـ ، والغمارى المتوفى سنة ٨٠٢ هـ ، وابن الدماميني المتوفى سنة ٨٢٧ هـ عليهم رضوان الله أجمعين .

وتعتبر البصرة — على حد تعبير الدكتور شوقى ضيف فى كتابه (١) هى المؤسسة لعلم النحو وواضعة أصوله . ومن ملامح المدرسة البصرية : الاعتماد على الاستقراء الدقيق ، والتشدد فى اطراد القواعد ، حيث اعتمدوا على جمع المادة اللغوية من ينابيعها الصافية من البادية حيث القبائل المتبدية المحتفظة بملكة اللغة وسليقتها الصحيحة ،وكان القرآن الكريم وقراءاته مددا لا ينضب لقواعدهم ، وهم لا يحتجون بالحديث النبوى ولا يتخذونه إماما لشواهدهم — إلا قليلا — لأنه روى بالمعنى ، ودخلت فى روايته كثرة من الأعاجم . وجوزوا القياس على المشهور الشائع فقط .

وعلى هذه الشاكلة شادت البصرة صرح النحو ورفعت أركانه . ويقول ابن النديم : وإنما قدمنا البصريين أولا لأن علم العربية عنهم أخذ . . ولعل السر فى أن عقل البصرة كان أدق وأعمق من عقل الكوفة ، وكان أكثر استعداداً لوضع العلوم أن البصرة سبقتها إلى الاتصال بالثقافات الأجنبية وبالفكر اليونانى . واستطاعوا صياغة النحو فى أدق صورة علمية ممكنة على نحو ما نرى فى كتاب سيبويه .

وقد رأى صاحب المدارس النحوية (٢) أن المدرسة المصرية كانت فى أول نشأتها شديدة الاقتداء بالمدرسة البصرية ، ثم أخذت تمزج منذ القرن الرابع بين آراء البصريين والكوفيين وضمت آراء البغداديين غير أن تلك المدرسة لم تزدهر إلا فى العصر الأيوبى ، وتكامل ازدهارها فى العصر المملوكى على يد ابن هشام .

---

(١) المدارس النحوية ص ١٧ — ٢٢ « بتصرف » .

(٢) المصدر السابق ص ٧ .

وفى حديثه عن المدرسة المصرية(١) أكد المؤلف أنه كان طبيعيا أن تنشط دراسات النحو فى مصر مبكرة مع العناية بضبط القرآن الكريم وقراءاته مما دفع إلى نشوء طبقة من المؤدبين كانوا يعلمون الشباب فى الفسطاط والاسكندرية مبادىء العربية .

وعن صاحبنا قال المؤلف (٢) — وهو يستعرض نحاة مصر : ويلقانا فى عصر المستنصر الفاطمى نحوى كبير هو ابن بابشاذ طاهر بن أحمد المتوفى سنة ٤٦٩ هـ . وتدور له فى كتب النحو آراء مختلفة يتفق فى طائفة منها مع الكوفيين والبغداديين والبصريين مما يدل دلالة واضحة أنه كان يمزج بين كل تلك المذاهب . كما سنوضح تفصيلا فى الفصل الثالث من الباب الثالث حين نتحدث عن منهجه ومذهبه النحوى ونعرض بالتحليل لذلك من خلال كتابه (شرح المقدمة النحوية) وكذلك فى الفصل الرابع من الباب نفسه حين نبين موقفه من النحاة وموقفهم منه .

---

(١) المدارس النحوية ص ٣٢٧ .

(١) المصدر نفسه ص ٣٣٦ « بتصرف » .

الفصل الثاني

اسمه — مولده — نشأته — ثقافته — صناعته —
صفاته — وفاته .

أجمعت كتب الثقات التي تهتم بتراجم(١) أعلام النحاة واللغويين وغيرهم

---

(١) رجعنا فى ترجمة الشخصية إلى المراجع الآتية :

١ — وفيات الأعيان لابن خلكان بتحقيق محمد محي الدين ٢/١٩٩ برقم ٢٨٥ .

٢ — البداية والنهاية لابن كثير (١٢/١١٦)

٣ — الأعلام للزركلى ٣/٣١٨

٤ — معجم الأدباء لياقوت (الطبعة الأخيرة) ١٢/١٧ ومابعدها ، ٥/١٧٠

٥ — المزهر فى علوم اللغة للسيوطى (محقق) ٢/٤٢١ ، ٤٦٧ .

٦ — إنباه الرواة للقفطى بتحقيق محمد أبو الفضل ٢/٩٥ برقم ٣١٢

٧ — حسن المحاضرة للسيوطى ص ١١٣ .

٨ — كشف الظنون لحاجى خليفة (الطبعة الأولى) ٢/٥٠٠ .

٩ — فهرس الخزانة التيمورية / دار الكتب المصرية ٣/٢٤ .

١٠ — نزهة الألباء للأنبارى بتحقيق محمد أبو الفضل ص ٣٦١ برقم ١٥٣

١١ — شذرات الذهب لابن العماد ٣/٣٢٣ .

١٢ — بغية الوعاة للسيوطى ٢/١٧ برقم ١٣٢٢ .

١٣ — معجم المؤلفين ٥/٣٢ .

١٤ — النجوم الزاهرة للأتابكى ٥/١٠٥ .

١٥ — مرآة الجنان لليافعى ٣/٩٨ .

١٦ — الخطط للمقريزى ٢/٤٥٣ .

١٧ — مغنى اللبيب ١/٢٠ .

١٨ — الحركة الفكرية ص ٢١٨ .

١٩ — المدارس النحوية ص ٢٣٦ .

على أن اسم صاحبنا هو : أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ(١) بن داود ابن سليمان بن إبراهيم ، واشتهر بابن بابشاذ النحوى اللغوى ، ومن المؤرخين من قال عنه : ابن بابشاد بكسر الباء الثانية ، والأكثر من قال بفتحها — وإليه نميـــل ، ومنهم من كتبها (باب شاذ) والأكثرون يكتبونها متصلة (بابشاذ) وإليه نميل لأن شانه شأن الأسماء المركبة تركيبا مزجيا يحسن كتابتها متصلة .. وأضافت بعض المراجع إلى اسمه كلمة : «المصرى» تأكيداً لنسبته إلى مصر التى عاش فيها معظم حياته وعمل وكتب وأملى مصنفاته بها حتى انتهت حياته فلم يفارقها منذ وطئت قدماه أرضها فاستحق بذلك أن ينتسب إلى مصر ، كما أضاف بعض المؤرخين إلى اسمه كلمة « الجوهرى » وقالوا : إنها كانت صناعته وصناعة أبيه وجده حيث عملوا جميعاً فى صناعة الجوهر ، وإن كان هو قد ترك هذا العمل حين استقر بمصر كما سنوضح فيما بعد .

وكان لا بد أن تكون له كنية شأن الناس جميعاً فى تلك العصور فكانت كنيته (أبو الحسن) ولم نجد كتابا من كتب التاريخ أو التراجم تعرض لمسألة مولد ابن بابشاذ — وإن كانوا جميعا قد أجمعوا على سنة وفاته . ويمكننا أن نرجح سنة مولده من خلال تصانيفه وآثاره العلمية التى تركها وصنفها بعد أن استقر بالقاهرة وخصوصا أنهم اتفقوا على أنه نشأ بالعراق ، وتعلم بها ولكنه أتم تعليمه بمصر على أيدى أساتذة مصريين(٢) ، وقال بعضهم إنه قد مارس تجارة الجوهر هناك لفترة من الزمان ثم يجىء للقاهرة فيقلد منصبا هاما بديوان الإنشاء ، ونعتقد أن رجلا ينال ثقة الفاطميين ، ويتولى منصباً خطيراً مثل هذا المنصب ، أقول : نعتقد بأن سنه لا تقل عن

---

(١) بابشاذ : بباءين موحدتين مفتوحتين بينهما ألف ثم شين معجمة وبعد الألف الثانية ذال معجمة وهى كلمة أعجمية مركبة يتضمن معناه الفرح والسرور أى أنه باب الفرح والسرور وباب قديما تعنى أب أى ابن أبى الفرح والسرور .

(٢) استنتجنا ذلك من ترجمة أحد أساتذته . معجم الأدباء ١٧/٥ .

خمسة وثلاثين عاماً ، ثم يستقر هذا العالم بالقاهرة ويكون له تلاميذه ومريدوه وتكون له آراؤه واتجاهاته النحوية ثم يصنف مؤلفاته التي سنعرض لها فيما بعد ، وكان أحدها : تعليق الغرفة الذى قيل عنه إنه وقع فى خمس عشرة مجلدة وأنه مات قبل أن يتمه . ثم إن الروايات تقطع بأنه عاش زاهدا فترة من الزمان فى آخر حياته حتى ضعف بصره ، ثم سقط من أعلى المسجد فمات ، ومن هنا نرى أن تلك الفترة لا تقل عن خمسة وثلاثين عاماً كذلك ومن هنا نرجح أن يكون قد مات وقد ناهز السبعين من عمره أى يكون مولده سنة أربعمائة للهجرة تقريباً أو قبلها بسنوات قليلة جداً .

أما عن نشأة صاحبنا فكما يبدو من اسم جده الأعجمى (ابن بابشاذ) نقول يبدو أن جده ليس عربى النشأة بل كان أصله من الديلم ، ثم رحل هذا الجد إلى العراق فى تجارة الجوهر التى كان يمارسها هو ووالد صاحبنا من بعده . ويرجح أن طاهر بن أحمد بن بابشاذ قد ولد بالعراق(١) وقضى به فترة طفولته وصباه ، وتلقى أول تعليمه هناك على أيدى علماء عصره مثله مثل أبناء التجار الذين كانوا يعهدون بهم إلى العلماء فى بغداد والبصرة والكوفة كى يتعلموا الكتابة والقراءة والحساب ، ثم يحفظون القرآن ، ويتعلمون تفسيره وعلوم النحو واللغة المختلفة وآدابها ليستطيعوا خدمة علوم القرآن بذلك — حيث لا تتضح بلاغة القرآن إلا لمن درس أصول النحو والصرف واللغة وتذوق الأدب وتعلم أصول البلاغة .

فمن هنا نرجح أن يكون ابن بابشاذ قد شب بالعراق . ونال جانباً من التعليم هناك ثم أتمه بتعمق على أيدى أساتذة مصر وعلى الأخص أننا سنرى أنه أصبح من كبار علماء عصره ، وصار أستاذا إليه الرحلة من الآفاق .

(١) يرجح الدكتور عبد اللطيف حمزة فى الحركة الفكرية ص ٢١٨ أن اسم (بابشاذ) كلمة قبطية وبالتالى فأبو الحسن مصرى ولكننا لا نميل إلى رأيه حيث أجمع المترجمون له جميعا بأن أصله من العراق أو الديلم ثم ورد أبوه مصر تاجرا ، كما أن افتراض قبطية الاسم مردود بأن جدة لا يمكن أن يكون ميلاده قبل سنة ٣٠٠ هـ وهذه الفترة كانت مصر فيها إسلامية تتكلم العربية وانقرضت منها القبطية .

ويبدو — فى أغلب ظنى كذلك — أن والده قرر الذهاب إلى القاهرة فى تجارة الجوهر التى كانت صناعته وصناعة أجداده ، فقرر اصطحابه معه بعد أن لمح فيه آثار النجابة والعلم كى يجد فرصته بمصر فى القاهرة الفاطمية فيجد فرصة التجارة والعلم والمناصب العالية . وكان هذا شأن الشعراء والأدباء والأساتذة والعلماء فى تلك الآونة ، يبحثون عن أماكنهم فى القصور وبين حاشية الخلفاء والأمراء والوزراء ، ونرجح أن والد صاحبنا كان بعيد النظر حيث رأى أضواء الخلافة العباسية الباهرة بدأت تخفت فى القرن الخامس وهو منتصف العصر العباسى الثانى ، وبدأ الوهن يدب فى أوصال الدولة ، وأخذ بريق الحكم ينتقل إلى الدويلات التى بدأت فى إعلان تمردها على بغداد فى القاهرة ودمشق وحلب وغيرها . لذلك قرر اصطحاب ولده معه ليجرب حظه فى القاهرة فيتم تعليمه ويثبت جدارته فى التجارة بين أهلها ويمكن لنفسه مكانا ثابتا بين حاشية الدولة الفاطمية التى كانت فى أوج مجدها فى تلك الفترة ، وينال المنصب المرموق الذى يطمح كل والد أن يرى ولده يتقلده ويلمع فيه . وكان والد صاحبنا — فيما أرى — معتمداً على نجابة ابنه وعلمه وذكائه وتفتح قريحته .

وعن ثقافة ابن بابشاذ : لم نجد من تناولها بالبحث من بين علماء التراجم المشهورين والذين قرأنا لهم . ولكن الترجيح الذى يصاحب رحلتنا فى هذا التمهيد مع صاحبنا طاهر بن بابشاذ — أقول إن الذى أرجحه أن ثقافته كانت ثقافة لغوية ونحوية خالصة بدليل أن عمله كان متصلا ومعتمدا على هذه الثقافة فى ديوان الإنشاء وإصلاح الرسائل لغويا ونحويا ، وأن كل آثاره العلمية وتصانيفه التى خلفها لنا كانت جميعها فى النحو واللغة حتى أفنى عمره بين هذه العلوم ، وبالطبع لابد أن يكون قد تثقف بادىء ذى بدء بعلوم القرآن والقراءات والتفسير لأن عالم النحو فى ذلك الوقت لم يكن يستطيع النبوغ فى علمه دون حفظ القرآن والتعرف على قراءاته

وتفسيره حتى أنه كثيراً ما كان يستشهد به فى كل مسألة من مسائل النحو باعتبار القرآن الكريم على أعلى رتب الفصاحة وأرقى أساليب اللغة ، وعليه اعتمد واضعو علم النحو الأوائل .

وإذا أردنا أن نعرض فى هذا المجال بالحديث لعلمه وصناعته — فإننا نقول إنه قد بدأ حياته فى مصر بتجارة الجوهر التى ورثها عن والده حتى صار أحد ألقابه واسما من أسمائه أن يدعى بالجوهرى ، ويبدو أنه استمر فى هذا العمل إلى جانب صناعته الأصيلة فى علم النحو فهو كما قيل عنه . الجوهرى النحوى اللغوى ، وكانت شهرته ذائعة فى الثانية أكثر من الأولى لأنه استمر يعالج تلك الصناعة حتى آخر حياته فألف وصنف فيها الكثير حتى صار إمام عصره بمصر فى علم النحو ، وصار علما من أعلام المدرسة البصرية وأستاذاً من أساتذة المدرسة المصرية .

ونعلم أن ديوان الإنشاء كان من أهم دواوين الإدارة كما أسلفنا ، وكان الخليفة يعين المسئول عنه من أنبه علماء العصر . ونرجح أن طاهر بن بابشاذ قد عين فى هذا المنصب الهام فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله الذى تولى بين عامى (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ) أى أن الفترة التى شغلها صاحبنا فى منصبه كانت جميعها فى خلافة المستنصر بالله .

وكانت مهمة صاحبنا فى ديوان الإنشاء أن أى كتاب يصدر من الديوان بمصر إلى الأطراف لايخرج منه حتى يعرض عليه ويتأمله ، فإذا كان فيه خطأ من جهة النحو أو اللغة أمر كاتبه بإصلاحه وإلا استرضاه فسيروه إلى الجهة التى كتب إليها .

وكان له على هذه الوظيفة راتب كبير من الخزانة يتناوله فى كل شهر . وعبر ياقوت عن هذا فى معجم الأدباء بقوله : « ولى متأملا فى ديوان الإنشاء بالقاهرة يتأمل مايصدر منه من السجلات والرسائل فيصلح

ما فيها من خطأ . . » وأضاف ياقوت: «وقد كان يتولى تحرير الكتب الصادرة عن ديوان الإنشاء بالديار المصرية إلى الأطراف ليصلح ما لعله يجده بها من لحن خفى ، وكان له على ذلك رزق سنى » .

ويبدو أن راتبه كان لا يقل عن مائة وخمسين دينارا كما أسلفنا فى أثناء حديثنا عن نظم الحكم والإدارة بمصر فى القرن الخامس الهجرى عند الفاطميين ، وهو الراتب المخصص لصاحب ديوان الإنشاء .

كما أن نشاط ابن بابشاذ لم يتوقف عند عمله فى ديوان الإنشاء بل تعداه إلى أن ظل متصدرا لفترة طويلة للإقراء فى جامع عمرو بن العاص وكان ابن بابشاذ ذا منزلة كبيرة فى النحو ، وكان على حد تعبير أبى البركات الأنبارى فى نزهة الألباء : من حذاق نحاة مصر على مذهب البصريين كما كان على حد تعبير جميع من ترجموا له : إمام عصره فى علم النحو بتعبير اليافعى ، وأنه كان من أكابر النحويين حسن السيرة منتفعا به وبتصانيفه — بتعبير ابن الأنبارى .

أما عن أبرز صفات ابن بابشاذ التى تميز بها فكانت : الورع والتقوى والمداومة على العبادة والدرس والتدريس لطلابه فى جامع عمرو بن العاص كما كان محبا للمال فى أول حياته حيث حرص عليه شأن من يتقرب من حاشية الخلفاء والأمراء ، ولكنه تزهد فى آخر حياته ، وكره متع الحياة ومظاهرها ، واستعفى من الخدمه بديوان الإنشاء ، ونزل عن راتبه ، وعاش بقية حياته بجامع عمرو بن العاص حتى مات فيه . ولعل تركه لتجارة الجوهر الرابحة وانصرافه إلى العلم فى شبابة لخير دليل على زهده وعزوفه عن متع الدنيا . ولنزهده المفاجىء فى آخر حياته قصة اتفقت عليها كتب التراجم المشار إليها آنفا وهى — والعبارة هنا للقفطى فى إنباه الرواة — وسبب تزهد طاهر بن بابشاذ رحمه الله أنه كان له قط قد أنس به ورباه أحسن تربية فكان طاهر الخلق لا يخطف شيئا ولا يؤذى على عادة القطط،

وأنه يوما اختطف من يده فرخ حمام مشويا فعجب له ، ثم عاد بعد أن غاب ساعة فاختطف فرخا آخر وذهب ، فتبعه الشيخ إلى خرق فى البيت فرآه قد دخل الخرق وقفز منه إلى سطح قريب وقد وضع الفرخ بين يدى قط هناك فتأمله الشيخ . فإذا القط أعمى مفلوج لا يقدر على الانبعاث . فتعجب وحضره قلبه وقال : من لم يقطع بهذا القط — وقد سخر له غيره يأتيه برزقه ويخرج عن عادته المعهودة منه لإيصال الراحه إليه — لجدير ألا يقطع بى.

وأجمع رأيه على التخلى والانفراد بعبادة الله ، وضم أطرافه ، وباع ماحوله ، وأبقى مالا بد من الحاجة إليه ، وانقطع فى غرفة بجامع عمرو ، وأقام على ذلك مدة .

وروى ابن كثير فى « البداية والنهاية » عبارة ابن بابشاذ بطريقة أخرى حيث قال : « ياسبحان الله هذا حيوان بهيم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره ، أفلا يرزقنى وأنا عبده وأعبده » .

وإن كان لنا رأى خاص فى الطريقة التى تزهد بها صاحبنا حيث أن الزهد — شرعا — لا يجب أن يتحول بالمرء إلى شخص متواكل يترك كل عمل بل يجب أن يقتصر على ترك متع الحياة وزينتها وزخرفها . ولكن الذى يعنينا أنه كان متعبدا ورعا عالما تقيا أستاذا بارعا ، ثم زاهدا فى آخر أيامه كما كان حسن السيرة منتفعا به وبتصانيفه .

كما اننى أرجح كذلك — فى هذا المجال — أن ابن بابشاذ قد تزوج فى بداية حياته ، ولكن يبدو أنه لم تكن له ذرية ، حيث لم يرو المؤرخون أو المترجمون لحياته شيئا عن ذريته وأولاده . كما أن حياته التى عاشها خارج جامع عمرو بن العاص فى أثناء توليه منصبه بديوان الإنشاء ، ثم انتقاله بعد ذلك إلى جامع عمرو بن العاص ليقيم فيه ويتولى أو يتصدر الإقراء به أو حياة الزهد التى عاشها آخر أيامه . كل ذلك يدل على أنه كان يعيش حياته

بالمسجد بلازوج أو أولاد ، حيث كان قد تزوج(١) أخت أستاذه أبى نصر القاسم بن محمد فى بداية حياته ، ثم ماتت زوجه على مايبدو ولم تعقب له ذرية فلم يتزوج بعدها ، واستقر مقامه بالجامع كما أكدت جميع الروايات .

واستمر طاهر بن بابشاذ فى مصر وفى كنف الدولة الفاطمية وبين طلابه ومريديه بجامع عمرو يخدم العلم واللغة سنوات طويلة فضلا عن خدماته بديوان الإنشاء فترة أربت على الثلاثين عاما حتى كانت سنة تسع وستين وأربعمائة من الهجرة حيث حل قضاء الله وأراد سبحانه لشعلة قوية عملاقة طالما أضاءت طريق العلم والمعرفة أن تنطفىء ،فانطفأت شعلة عالمنا أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ فى تلك السنة .

وكان سبب موته تنفيذاً لأمر الله وقضائه — والرواية هنا لابن خلكان فى وفيات الأعيان : « وكان سبب موته : أنه لما انقطع وجمع أطرافه وباع ماحوله . وأبقى ما لابد له منه ، كان انقطاعه فى غرفة بجامع عمرو بن العاص وهو الجامع العتيق بمصر ، فخرج ليلة من الغرفة إلى سطح الجامع(٢) فزلت رجله فى بعض الطاقات المؤدية للضوء إلى الجامع فسقط ، وأصبح ميتا ، وكان ذلك عشية اليوم الثالث من شهر رجب سنة تسع وستين وأربعمائة بمصر الموافق سنة ١٠٧٧م ، ودفن بالقرافة الكبرى ، رحمه الله تعالى ! وزرت بها قبره ، وقرأت تاريخ وفاته على حجر عند رأسه كما هو ههنا » .

ومات ابن بابشاذ عن حوالى سبعين عاماً قضاها فى كفاح طويل من أجل العلم وفى مقدمة العلماء .

رحم الله صاحبنا ، ونفعنا بعلمه .

---

(١) ذكر ذلك عرضا : معجم الأدباء ١٧/٥ وهو يقدم ترجمة أبى نصر النحوى .

(٢) أضاف معجم الأدباء : (وكان النوم فى عينيه) كما اختلف مع ابن خلكان فى تحديد اليوم ، وقال : فى الرابع من رجب ، وأخطأ إنباه الرواة حيث ذكر أن وفاته سنة ٤٥٤ هـ .

الفصل الثالث

اساتذته — تلاميذه

مما لا شك فيه أن المكتبة العربية مفتقرة تماما إلى معلومات كافية عن شخصية هامة وعالم ذى أثر كبير مثل ابن بابشاذ، فلعل ما كتب عنه فى كتب التراجم كلها لا يعدو صفحات محدودة جداً. فضلا عن هذا الموضوع الذى نعرض له الآن وهو أساتذة ابن بابشاذ وتلاميذه. لذلك سوف أحاول جاهداً استخلاص هذا الأمر من خلال ما كتب عنه، ثم نعرض تلك الشخصيات، ونترجم لمن تتيسر الترجمة له منهم وإن كانت معظم كتب التراجم لم تتعرض لأساتذة ابن بابشاذ اللهم إلا قولهم بأنه تلقى تعليمه على أساتذة عصره بالعراق. ولكنهم لم يفصحوا عن اسم أى واحد تتلمذ صاحبنا على يديه.

ولقد حاولت فاستطعت بعد التنقيب وأحيانا بطريق الصدفة أن أعثر على بعض أسماء أساتذته ومنهم:

١ — أبو نصر القاسم بن محمد بن مباشر الواسطى النحوى الضرير(١).

٢ — أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن خرزاد النجيرمى(٢)

٣ — على بن عيسى الربعى(٣).

٤ — ويذكر بعضهم أن التبريزى ورد مصر وأن ابن بابشاذ قد درس عليه. أما تلاميذه فقد حاولت جهدى استنباط بعض أسمائهم فوجدت منهم:

١ — ابن الفحام أبو القاسم عبد الرحمن بن عتيق بن خلف المقرىء النحوى الصقلى(٤) الذى نقل عنه شرح مقدمته، وهو المتوفى سنة ٥١٦ هـ.

---

(١) معجم الأدباء ١٧/٥، بغية الوعاة ٢/٢٦٢.

(٢) بغية الوعاة ٢/٢٦٢.

(٣) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص ٥١

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ص ٧٨٤.

٢ — خلف بن إبراهيم بن الحصار المقرىء(١) الذى نقل عنه أيضاً شرح مقدمته .

٣ — أبو الأصبغ عيسى بن محمد بن أبي البحر الزهرى(٢) الذى روى المقدمة وشرحها ، وشرح الجمل مباشرة عن المؤلف (ابن بابشاذ) .

٤ — أبو عبد الله محمد بن بركات السعيدى(٣) .

وفى حقيقة الأمر نرى أن تلاميذه كان عددهم ضخما وليس هذا العدد المحدود ، حيث أنه كان أستاذاً متصدراً للإقراء والتعليم بجامع عمرو بن العاص لمدة طويلة ، ومع ذلك فقد أغفل المترجمون هذا العدد الكبير — كما أسلفنا .

ويمكن اعتبار شراح(٤) المقـــدمة النحوية لصاحبنا طاهر بن أحمد ابن بابشاذ من تلاميذه وهم :

١ — الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى المتوفى ٦٢٩هـ

٢ — والشيخ عماد الاسلام يحيى بن حمزة العلوى فى كتابه : الحاصر لفوائد المقدمة .

٣ — وأبو القاسم بن أبي بكر بن سعيد الصقلى القرشى .

٤ — ونظمها الشيخ سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر .

وأما عن أساتذته فنعتقد أن ما كشفناه منهم بطريق البحث والصدفة أحيانا لندرة من تناولهم — كما أشرت — فنعتقد أنه عدد غير كاف ، ولعلنا نستعيض عن هذا النقص بأن نقرر من خلال ما لاحظناه فى كتبه

---

(١) فهرست ابن خير الإشبيلى / طبعة بيروت ص ٢١٥ .

(٢) فهرست ابن خير ص ٢١٥ (كذلك) .

(٣) معجم الأدباء لياقوت ١٨/٣٩ ، إنباة الرواة القفطى ص ٧٨ ، بغية الوعاة للسيوطى ١/٥٩ .

(٤) كشف الظنون ٢/٥٠٠ ، نزهة الألباء ص ٣٦١ .

وتصانيفه بأنه تتلمذ على أساتذة النحو واللغه من الطبقة الأولى حيث قرأ إنتاجهم وتأثر به وناقشه ، واعتمد عليه فى تصنيف كتبه فيما بعد .

ومن هؤلاء الذين تتلمذ على علمهم ، وتأثر بكتبهم وإنتاجهم عملاق النحو الكبير سيبويه وأستاذه الخليل بن أحمد ، وأبو العباس المبرد والكسائى والأخفش ، كما تتلمذ على نحو ثعلب وأبى على الفارسى والجرى وابن درستويه وأبى بكر بن سراج — الذى شرح له صاحبنا كتاب الجمل .

كما أننا لم نعثر على أى أسم لأحد أصحابه أو منافسيه فى المراجع المختلفة .

ونقوم الآن بالترجمة لمن نجد له ترجمة من الأسماء البارزة التى كان لها دور فى حياته سواء من أساتذته أو تلاميذه .

فمن أساتذته نترجم لكل من :

١ — أبو نصر القاسم بن محمد بن مباشر الواسطى النحوى الضرير (١).

لقى ببغداد أصحاب أبى على وتنقل فى البلاد حتى نزل مصر فاستوطنها فقرأ عليه أهلها ، وأخذ عنه أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ وبه تخرج ، وزوجه من أخته ، وكان ابن بابشاذ يخدمه وبه انتفع ، مات أبو نصر بمصر ، وله من الكتب : شرح اللمع ، وكتاب فى النحو رتبه على أبواب الجمل ، وشرح من كل باب مسألة .

٢ — أبو يعقوب يوسف بن اسماعيل بن خرّزاد النجيرمى (٢) :

... اللغوى البصرى نزيل مصر ، من أهل بيت فيه جماعة من الفضلاء والأدباء ، روى عن أبى يحيى بن خلاد ، وروى عنه أبو الفضل الخزاعى ،

---

(١) معجم الادباء ١٧/٥ برقم ٢

(٢) وفيات الاعيان ٦/٧٣ برقم ٨١٠

كان يوسف أمثل أهل بيته ، وكان أبو عبد الله محمد بركات السعيدى قد أخذ اللغة عن أصحاب(١) أبى يعقوب المذكور حيث لم يأخذ عن أبى يعقوب الذى مات والسعيدى مازال صبيا . وكان ابن بركات هذا قد أخذ النحو عن ابن بابشاذ النحوى . وتوفى النجيرمى يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، وقيل إن مولده كان سنة خمس وأربعين وثلاثمائة .

٣ — علي بن عيسى الربعى(٢) :

وهو الذى عبر عنه أبو الحسن طاهر بن بابشاذ فى أحد مواضع (شرح المقدمة النحوية) بأنه : « أستاذ أستاذنا » .

وترجمته تقول : هو على بن عيسى بن الفرج بن صالح أبو الحسن الربعى النحوى ، ولد سنة ٣٢٨ هـ ، ودرس ببغداد على السيرافى ، وبشيراز على أبى على الفارسى حيث درس معه عشرين سنة فى علم النحو .

ومن مؤلفاته : شرح مختصر الجرمى ، وشرح الايضاح لأبى على ، وشرح كتاب سيبويه ، وكتاب البديع فى النحو وغيرها . مات سنة ٤٢٠هـ.

ويمكننا التعرف باثنين ارتبط صاحبنا بهما وبكتبهما فدرس وشرح كتابا لكل منهما وهما : ابن السراج صاحب كتاب الأصول ، والزجاجى صاحب كتاب الجمل فيمكن اعتبارهما من أساتذته وإن لم يتتلمذ على أيديهما فى قاعات الدرس حيث مات الشيخان قبل مولد التلميذ .

٤ — أبو بكر بن السراج(٣) :

هو أبو بكر محمد بن السرى النحوى المعروف بابن السراج . أخذ عن

---

(١) يقصد عن ابن بابشاذ الذى كان أحد تلاميذ أبى يعقوب يوسف .
(٢) إنباه الرواة للقفطى ٢/٢٩٧ .
(٣) وفيات الأعيان ٣/٤٦٢ .

المبرد ، وأخذ عنه السيرافى ، والرمانى . ونقل عنه الجوهرى فى الصحاح ، ومن تصانيفه : كتاب الأصول — وهو من أجود الكتب المصنفة فى هذا الشأن وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه ، والاشتقاق ، وشرح كتاب سيبويه وغيرها ، وتوفى سنة ٣١٦ هـ .

٥ — أبو القاسم الزجاجى(١) .

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى النحوى البغدادى . كان إماما فى علم النحو وصنف فيه كتاب الجمل الكبرى — وهو كتاب نافع ، وصحب أبو القاسم أستاذه الزجاج فنسب إليه ، وكتاب الجمل من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلا وانتفع به ، ويقال إنه صنفه بمكة المكرمة ، وتوفى بدمشق سنة ٣٣٧ هـ .

ومن شيوخه كذلك :

٦ — التبريزى :

وهو يحيى بن على محمد بن الشيبانى المشهور بالخطيب التبريزى . قال عنه فى مرآة الجنان ١٧٢/٣ : صاحب التصانيف أخذ اللغة عن أبى العلاء المعرى وكان شيخ الأدب ببغداد ، وقد قرأ عليه ابن بابشاذ شيئاً من اللغة عندما مر بمصر - وكان شابا حديث السن — فى طريقه إلى بلاد الشام .

ومنهم أيضاً :

٧ — أبو محمد بن إسماعيل بن عمرو الحداد :

وهو أستاذ ابن بابشاذ فى القراءات ، ذكره ابن بابشاذ فى شرح الجمل (لوحة ١١٦ من الجزء الثانى) .

---

(١) وفيات الأعيان ٣١٧/٢ .

وبعد أن ترجمنا لأساتذته ، نترجم لمن نستطيع من تلاميذه الذين ذكرنا أسماء بعضهم فى أول هذا الفصل . . ومنهم :

١ — أبو عبد الله محمد بن بركات السعيدى النحوى :

وهو الذى قال عنه المؤرخون(١) إن كتاب « تعليق الغرفة » لابن بابشاذ قد انتقلت إلى تلميذه أبى عبدالله هذا الذى تصدر موضع أستاذه للأقراء بجامع عمرو بن العاص بعد وفاته كما تصدر موضعه بديوان الإنشاء وانتقلت منه النسخة إلى أصحابه وتلاميذه بعدئذ .

وترجمته كما عرضها ياقوت فى معجمه(٢) :

هو محمد بركات بن هلال بن عبد الواحد بن عبد الله السعيدى الصوفى كان يكنى أبا عبد الله . مات فى سنة عشرين وخمسمائة (للهجرة) وقيل إن مولده كان فى سنة عشرين وأربعمائة فيكون عمره على هذا مائة سنة ، وهو أحد فضلاء المصريين وأعيانهم المبرزين . أخذ النحو والأدب عن أبى الحسن بن بابشاذ فأتقنه ، وله أيضاً معرفة حسنة بالأخبار والأشعار ، وكان يقول الشعر فيجيده ، ومن كتبه : كتاب خطط مصر ، وعدة تصانيف فى النحو منها : كتاب الناسخ والمنسوخ .

٢ — أبو القاسم عبد الرحمن بن عتيق بن خلف بن أبى بكر بن سعيد ابن الفحام :

---

(١) بغية الوعاة ٢ / ١٧ وإنباه الرواة ص ١٧ ووفيات الأعيان ٢ / ١٩٩ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت ١٨ / ٣٩ برقم ١٦ والمدارس النحوية ص ٢٣٧ .

الأستاذ الثقة المحقق مؤلف كتاب التجريد ،شيخ الإسكندرية ، والذى انتهت إليه رياسة الإقراء فيها علوا ومعرفة .

ويوجد فى أول كتاب شرح المقدمة النحوية الذى نحققه هنا نص صريح فى إملاء هذا الكتاب على عبد الرحمن بن عتيق المذكور قبل سفره إلى الإسكندرية .

* * *

الباب الثاني

ويقع في فصلين :

الفصل الأول : كتبه وآثاره العلمية

الفصل الثاني : آراؤه من كتب النحو

الفصل الأول

كتبه وآثاره العلمية

كتبه وآثاره العلمية

اتضح من البحث والاستقصاء أن لابن بابشاذ خمسة تصانيف موجودة مخطوطة جميعاً، إلا أن واحداً منها مفقود.

وسوف نتعرض فى هذا الفصل لجميع تلك الآثار فنخص آثاره الموجودة بين أيدينا بالدراسة والتحليل، ثم نثبت ما توافر لدينا من معلومات حول الأثر المفقود من تلك الآثار القيمة التى خلفها ابن بابشاذ.

وسوف يخلو هذا الفصل من دراسة تفصيلية لكتاب « شرح المقدمة النحوية »، حيث أننا سنكتفى بالإشارة إليه وذلك لأننا سنفرد له الباب الثالث مستقلا لدراسته نظرا لأهميته، ولأن دراسته مكملة لموضوع بحثنا.
ونقوم الآن بترتيب مصنفاته فى قائمة إحصائية ذاكرين قرين كل منها المصادر التى نسبت أى كتاب منها إلى ابن بابشاذ :

قائمة إحصائية

بتصانيف ابن بابشاذ

مسلسل	اسم الكتاب	صفته	المصادر التى ذكرته	أرقام الصفحات
١	ـ المقدمة النحوية (أوالمقدمة	مخطوط	وفيات الأعيان	٢ : ١٩٩
	المحسبة فى النحو أو كتاب		فهرس التيمورية	٣ : ٢٤
	مقـــدمة فى النحو) أو		فهرس الكتب العربية	
	المحتسب		بدار الكتب	
			إنباه الرواة	٢ : ٩٥
			حسن المحاضرة	١١٣
			كشف الظنون	٢ : ٥٠٠
			فهرس المخطوطات	
			المصورة بدار الكتب	
			نزهة الألباء	٤٣٢
			الأعلام	٢ : ٣١٨
			شذرات الذهب	٣ : ٢٣٣
			معجم المؤلفين	٥ : ٣٢
			البداية والنهاية	١٢ : ١١٦
			مغنى اللبيب	١ : ٢٠
			معجم الأدباء	١٢ : ١٧

تابع القائمة الإحصائية

مسلسل	اسم الكتاب	صفته	المصادر التى ذكرته	أرقام الصفحات
٢ —	شرح المقدمة النحوية	مخطوط	وفيات الأعيان	٢ : ١٩٩
	(الجمل الهادية أو الهادى		فهرس التيمورية	٣ : ٢٤
	فى شرح المقدمة)		فهرس الكتب العربية بدار الكتب)	
			إنباه الرواة	٢ : ٩٥
			حسن المحاضرة	١١٣
			كشف الظنون	٢ : ٥٠٠
			فهرس المخطوطات المصورة بدار الكتب	
			نزهة الألباء	٤٣٢
			شذرات الذهب	٣ : ٣٢٣
			البداية والنهاية	١٢ : ١١٦
٣ —	شرح كتاب الجمل للزجاجى	مخطوط	وفيات الأعيان	٢ : ١٩٩
			الأعلام	٣ : ٣١٨
			معجم الأدباء	١٢ : ١٧
			البداية والنهاية	١٢ : ١١٦
			إنباة الرواة	٢ : ٩٥
			حسن المحاضرة	١١٣
			فهرس المخطوطات المصورة بدار الكتب	
			نزهة الألباء	٤٣٢
			شذرات الذهب	٣ : ١٣٣
			مغنى اللبيب	١ : ٢٠

تابع القائمة الإحصائية

مسلسل	اسم الكتاب	صفته	المصادر التي ذكرته	أرقام الصفحات
٤ —	شرح كتاب الأصول لابن السراج	مخطوط	وفيات الأعيان	٢ : ١٩٩
			الأعلام	٣ : ٢١٨
			شذرات الذهب	٣ : ٢٣٢
٥ —	مسودات باسم : تعليق الغرفة (أو شرح النخبة)	مخطوط (مفقود)	وفيات الأعيان	٢ : ١٩٩
			إنباه الرواة	٢ : ٩٥
			حسن المحاضرة	١١٣
			شذرات الذهب	٣ : ٣٢٣
			البداية والنهاية	١٢ : ١١٦
			معجم الأدباء	٢ : ١٧
			معجم المؤلفين	٥ : ٣٢

(ب) الآثار الموجودة

ما زالت جميع تصانيف ابن بابشاذ مخطوطة ، ولم يبدأ فى تحقيقها إلا فى السنتين الأخيرتين وهى :

١ — المقدمة النحوية(١) :

وتسمى أسماء مختلفة منها :

المقدمة النحوية ، المقدمة المحسبة فى فن العربية . المقدمة ، المقدمة فى النحو ، المقدمة المحسبة فى فن العربية فى علم النحو ، المحتسب فى النحو

(١) يمكن الرجوع فى ذلك إلى جميع المصادر الموضحة أمام (المقدمة) بالقائمة الإحصائية .

وهذا ترجيح(ه) حيث أن الكل أجمع على أن صاحبه بناه على عشرة أشياء : الاسم والفعل والحرف . . إلخ . .

وهى مكونات (المقدمة) كما قيل : وله عليه شروح ، واختصره ابن عصفور ، ويؤكد الترجيح أن من نسب إليه المحتسب لم يتكلم عن المقدمة.

والمقدمة مازالت مخطوطة يتوافر منها خمس نسخ بيانها كالآتى :

(أ) نسخة محفوظة بالمتحف البريطانى بلندن تحت رقم ٣٧٧٧ .

(ب) نسخة محفوظة بالمكتبة القومية بباريس تحت رقم ٥٨٧٧ .

(ج) نسخة محفوظة بمكتبة الأسكوريال بمدريد تحت رقم ٢و١٨٢٧

(د) نسخة محفوظة بمكتبة الفاتيكان بإيطاليا تحت رقم ٣٤٢ .

(ه) نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٢٨١ نحو

والكتاب مشهور فى مكتبة النحو ذائع الصيت ، ويعرض بإيجاز وتركيز لجميع مسائل النحو فى عشرة فصول هى : الاسم والفعل والحرف والرفع والنصب والجر والجزم والعامل والتابع والخط

وصف النسخ :

(أ) نسخة المتحف البريطانى

وعنوانها : كتاب المقدمة المحسبة فى النحو تأليف الأستاذ أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى اللغوى رحمه الله ، وتحفظ بمكتبة المخطوطات العربية بالمتحف تحت رقم ٣٧٧٧ .

وتم إيداعها فى (١٣ يولية سنة ١٨٨٩م) .

---

(١) يرجع إلى المدارس النحوية ص ٢٣٦ ، معجم الأدباء ١٢/١٧ ، إنباه الرواة ٢/٩٥

وعدد أوراقها : ست وخمسون — احتوت الأولى على العنوان والأخيرة على بعض التعليقات والتمليكات . واحتوت على ست وخمسين لوحة .

واحتوت كل صفحة على ستة عشر سطرا ، ومتوسط كل سطر حوالى ثمانى كلمات . وهناك قليل من التعليقات فى بعض هوامشها .

وتاريخ نسخها : يوم الجمعة السادس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة من الهجرة .

وأسم الناسخ : الشيخ جمال الدين(١) .

والخط الذى كتبت به النسخة خط واضح جميل شأن خطوط القرن التاسع الهجرى .

والعنوان المكتوب فى الصفحة الاولى بخط كبير وجميل ، ولكنه محاط ببعض التمليكات والصلوات . وهكذا الصفحة الأخيرة ، ويبدو أن مسطرة المخطوط متوسطة ،ولا نستطيع القطع بمقاسها نظراً لأنى استجلبت النسخة مصورة « بالميكروفيلم » وقمت بتكبيرها بعد ذلك .

وأول النسخة (وكذلك جميع نسخ المقدمة التى نستعرضها فى هذا المجال).

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله — قال الشيخ أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى رحمه الله : النحو علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله تعالى والكلام الفصيح ، والغرض به معرفة صواب الكلام من خطئه ، وفهم معانى كتاب الله عز وجل وفوائده .

ونهاية النسخة :

«...وهذا القدر كاف فى معرفة الخط من هذه المقدمة المختصرة لمن أراد الاقتصار ومعرفة مالا يسع جهله ، وبالله التوفيق وهو يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

(١) لم يتضح بالنسخة باقى اسم الناسخ .

تمت المقدمة المحسبة فى علم النحو بمن الله وعونه ولطفه وتيسيره، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وكان الفراغ من نساختها آخر نهار الجمعة يوم سادس عشر من شهر جمادى الأولى من شهور سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة سنة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

نسخت برسم السيد المبجل الأوحد الأكمل جمال الدين . . . رزقه الله حفظ معانيها وأعانه على طاعته ورضاه، ورزقه العلم والعمل به، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، والحمد لله جزيل النوال والأفضال، والصلاة والسلام على محمد وآله خير آل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

(ب) نسخة باريس :

وعنوانها : كتاب مقدمة فى النحو لأبى الحسن بن بابشاذ.

وتحفظ بالمكتبة القومية بباريس تحت رقم ٥٨٧٧ بالفهرس.

وعدد لوحاتها مائة وثمانى لوحات. وسوف نقوم بسرد وصف شامل للنسخة(١).

وتاريخ النسخ: جمادى الأولى سنة ٧٩٤ هـ، وقد كتب خطأ فى الفهرس سنة ٧٩٩ هـ، وهى مكتوبة بخط نسخى واضح وجميل جداً ومستقيم، وكبير الأحرف نوعا ما، ومضبوط بالشكل.

واسم الناسخ : على بن عافية العراقى.

ومسطرتها ١٧×١٣ سنتيمترا، وكتب أرقام الصفحات بالأحمر. وللنسخة عناوين وأطر من الخط المذهب وبالألوان الزرقاء والحمراء، وعدد

---

(١) بالرغم من استجلابنا للنسخة مصورة بالميكروفيلم إلا أن أحد الأصدقاء بجامعة السربون بباريس تفضل مشكورا بإرسال هذا الوصف إلينا بالبريد.

سطور كل صحيفة أحد عشر سطرا ، ومتوسط الكلمات فى كل سطر ست كلمات ، وكل صفحة مكتوبة ضمن إطار أزرق ، وبداخله إطار آخر مذهب مغلف بخط أسود رفيع ، وكثير من الكلمات ملونة ، وأحيانا كان يكتب الفواصل بالمداد الأحمر ، وكان يكتب عناوين الفصول بالأحمر ، وكذلك كل الأنواع والتقسيمات ما عدا عنوان الفصل الأول فهو بالخط المذهب ، وفى أسفل كل صفحة يمنى وضع الناسخ الكلمة التى تبدأ بها الصفحة اليسرى المقابلة .

والنسخة مجلدة بالورق المقوى المغلف بالجلد الفاخر ، ويوجد فى صفحة العنوان وعلى ورقة بيضاء : مقدمة فى النحو — أبو الحسن الطاهر ١٦٥، ونعتقد أن هذه الكتابة متأخرة عن تاريخ كتابة المخطوطة وليست من خط الناسخ ولعلها رقم المخطوطة فى إحدى خزائن الشرق قبل انتقالها إلى باريس .

وفى صفحة أخرى وهى صفحة العنوان الأصلية ، كتب العنوان بالمذهب وبخط جميل جداً وداخل إطار مذهب ملىء بالنقوش الرائعة المكون من اللونين الذهبي والأزرق ، وبأسفل صفحة العنوان يوجد ختم صغير لشخص اسمه : محمد وبجانبه على اليسار جاء « مما اصطحبه العبد الفقير ضياء الدين بن خليل عفى عنهما » .

وتبدأ النسخة بالآتى :

« بسم الله الرحمن الرحيم — قال أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى رحمه الله : النحو علم مستنبط . . . »

وتنتهى النسخة بقوله :

« فهذا القدر كاف فى معرفة الخط من هذه المقدمة المختصرة لمن أراد الاقتصار ، ومعرفة ما لا يسع جهله . وبالله التوفيق وهو يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . . » .

(ج) نسخة الأسكوريال :

وعنوانها : كتاب المقدمة لابن بابشاذ ، ويوجد بالصفحة الأولى .

وتحفظ هذه النسخة بمكتبة الأسكوريال بمدريد بقسم المخطوطات العربية تحت رقم ٢٨١٧ وعدد لوحاتها اثنتان وثلاثون لوحة من القطع المتوسط ، والنسخة ناقصة لأكثر من ثلث لوحاتها ، وخطها تسهل قراءته وبكل صفحة سبعة عشر سطراً ، ومتوسط كلمات كل سطر حوالى تسع كلمات

وأول نسخة :

« قال الشيخ أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى :

النحو علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله سبحانه والكلام الفصيح والغرض به معرفة صواب الكلام من خطئه » .

وانتهت هذه النسخة فى منتصف الفصل الثامن وهو فصل العامل . أى أنها ناقصة لهذا الجزء من فصل العامل ، كما ينقص منها فصلان كاملان وهما : فصلا التابع والخط . والعبارة التى انتهت بها نسخة الأسكوريال تقول :

« . . فكلها عاملة وهى فى عملها على ثمانية أنواع ، منها نوع أول يرفع الاسم وينصب الخبر ، وذلك ثلاثة عشر فعلا مع ما حمل عليها وهى : كان وأصبح وأمسى وأضحى . . »

(د) نسخة الفاتيكان :

وعنوانها : كتاب المقدمة المحسبة فى النحو تصنيف الشيخ الأمام أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى رحمة الله عليه .

وتحفظ بقسم المخطوطات بمكتبة الفاتيكان الرسولية بمدينة الفاتيكان بإيطاليا تحت رقم ٣٤٢ وعدد أوراقها : اثنتان وسبعون لوحة ، احتوت اللوحة الأولى على العنوان ، واستغرق النص إحدى وسبعين لوحة .

واحتوت كل صفحة على ثلاثة عشر سطرا ، ومتوسط كلمات كل سطر ثمانى كلمات . ولا يوجد بهوامشها أى تعليقات .

ولم يثبت الناسخ تاريخ النسخ ، وإن كنا قد استنتجناه من نسخة الشرح التى ألحقت بها أنها نسخت سنة ۹۹۱ هـ .

واسم الناسخ : حيدر بن أبى طالب .

وخط النسخة نسخى واضح جميل جداً وكبير ومنقوط ومضبوط فى أغلبه وهى رائعة التنسيق جميلة الترتيب .

والعنوان المكتوب فى الصفحة الأولى سبقه عنوان آخر فى أعلى الصحفة هو : كتاب فى النحو فى علم النحو ، وكتب تحته تعليق : العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان .

ولا نستطيع القطع بمقاس المخطوط حيث أن النسخة وردت إلينا مصورة « بالميكروفيلم » من الفاتيكان وقمنا بتكبيرها ، وتخلو جميع صفحات النسخة من الهوامش والتعليقات باستثناء الصفحة الأولى .

وتبدأ النسخة بقوله : « بسم الله الرحمن الرحيم — قال الشيخ أبو الحسن طاهر بن أحمد بن (باب شاذ) النحوى رحمة الله عليه ، قال : النحو علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله تعالى والكلام الفصيح ، والغرض به معرفة صواب الكلام من خطئه وفهم معانى كتاب الله تعالى وفوائده والطريق إلى تحصيله تكون بإحكام أصوله . . »

وفى آخر النسخة جاء : « . . بهمزة منفصلة فهذا القدر كاف فى معرفة الخط من هذه المقدمة المختصرة لمن أراد الاقتصار ومعرفة ما لا يسع جهله . وبالله التوفيق وهو يهدى إلى صراط مستقيم » . ثم كتب : تمت المقدمة وحسبنا الله ونعم الوكيل . علقها حامد الله وحده ومصليا على خير خلقه محمد النبى وآله ومسلماً تسليماً كثيراً : حيدر بن أبى طالب غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين والسلام .

(ﻫ) نسخة دار الكتب المصرية :

وعنوانها : المقدمة المحسبة فى العربية تصنيف الشيخ الأمام العالم أبى الحسن طاهر بن بابشاذ النحوى رحمه الله وعفا عنه وعن جميع أمة محمد عليه الصلاة والسلام . ورقمها ٢٨١ / نحو وعدد لوحاتها : إحدى وستون لوحة .

ومسطرتها : ١٧ × ١٣ سنتيمتراً .

ويوجد بكل صفحة سبعة عشر سطراً ، ومتوسط كلمات كل سطر أربع عشرة كلمة : والنسخة أوراقها قديمة أكلت الأرضة أجزاء قليلة منها وأحدثت فيها بعض الثقوب ، قامت دار للكتب المصرية فى صيف سنة ١٩٧٣م بتصويرها ضمن مخطوطاتها « بالميكروفيلم » .

واختلطت عناوين الفصول بالموضوعات وإن تميزت عنها قليلا فى الخط.

وتاريخ النسخ . ١٨ من المحرم سنة ٧٥٣ ﻫ .

واسم الناسخ : أبو بكر بن محمد بن إلياس الخطيب بعين الزيتون .

وخطها صغير متزاحم غير مضبوط ولكنه معجم مقروء .

وجاء بأول النسخة :

« بسم الله الرحمن الرحيم — قال الشيخ . . . النحو علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله عز وجل والكلام الفصيح . . »

ونهاية النسخة :

« . . فهذا القدر كاف فى معرفة الخط من هذه المقدمة لمن أراد الاختصار ومعرفة ما لا يسع جهله والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم »

وختم الناسخ بقوله :

فقد تمت المقدمة بعون الله فى ثامن عشر المحرم سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة على يد العبد الفقير إلى الله تعالى أبو بكر بن محمد بن إلياس الخطيب بعين الزيتون ، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ فيه ودعا له بالتوبة والمغفرة ولجميع المسلمين يارب العالمين آمين .

نماذج من كتاب : « المقدمة النحوية » :

١ — من فصل الاسم : والاسم ما أبان عن مسمى شخصاً كان أو غير شخص مثل : رجل وامرأة وزيد وهند ونحوه من المرئيات ، وعالم ومعلوم ونحوه من الصفات ، وعلم وقدرة وفهم ونحوه من المعانى . وإنما لقب هذا النوع اسما لأنه سما بمسماه فأوضحه وكشف معناه ، وقسمة الأسماء كلها : ظاهر ومضمر وما بينهما وهو يسمى المبهم .

٢ — ومن فصل الحرف : الحرف ما أبان عن معنى فى غيره ، ولم يكن أحد جزءى الجملة خلاف الاسم والفعل نحو : من وإلى ، وإنما لقب هذا النوع حرفاً لأنه أخذ من حرف الشىء وهو طرفه من حيث كان معناه فى غيره فصار كأنه طرف له .

٣ — ومن فصل النصب : النصب ما جلبه عامل النصب ، وعلاماته كلها خمس ، الفتحة والألف والياء وحذف النون والكسرة — والأصل منها الفتحة .

٤ — ومن فصل العامل : العامل ما عمل فى غيره شيئاً من رفع أو نصب أو جر أو جزم على حسب اختلاف العوامل ، وجملة العوامل أربعة ، معنى وفعل وحرف واسم — ثلاثة لفظية وواحد معنوى ، فالمعنوى ضربان أحدهما عامل الرفع فى المبتدأ ، والآخر عامل الرفع فى الفعل المضارع .

٥ — ومن فصل الخط . وهو على ضربين متبع ومخترع ، فالأول بابه المصاحف ، والثانى ما اصطلح عليه الكتاب ، وقاسه النحويون ورسمه العروضيون ، وجملة الأمر أن مداره على معرفة ثمانية أشياء وهى : الممدود والمقصور والمهموز والوصل والقطع والحذف والزيادة والبدل .

منهج الكتاب :

يعالج الكتاب جميع أبواب النحو بتقسيم فريد ، ويعتبر هذا الكتاب

مدخلا لأهم كتبه ألا وهو : شرح المقدمة النحوية ، ويبدو أنه قد صنف هذا الكتاب وشرحه بعد تصنيفه لشرح كتاب الأصول لابن السراج حيث أشار ابن بابشاذ فى أكثر من موضع بشرح المقدمة لكتاب الأصول هذا .

* وهذا التقسيم الفريد هو فى عشرة فصول كالآتى : فصل الاسم ، فصل الفعل ، فصل الحرف ، فصل الرفع ، فصل النصب ، فصل الجر ، فصل الجزم ، فصل العامل ، فصل التابع . فصل الخط . وقد وضح سر هذا التقسيم وذلك الترتيب فى شرح المقدمة كما سيتضح فيما بعد من الصفحات الأولى للتحقيق .

* وطريقته فى علاج الأمور من كل فصل : أن يعرض الموضوع الأصلى ويعرف به كما أسلفنا فى النماذج الخمسة ، فالاسم هو ما أبان عن مسمى . . والحرف ما أبان عن معنى فى غيره .. والنصب ما جلبه عامل النصب ، والعامل ما عمل فى غيره شيئا من رفع أو نصب أو جر أو جزم . والخط على ضربين متبع ومخترع . . الخ .

* ثم يستدل على كل قضية بمثالها المختصر المؤدى للغرض كقوله فى النموذج الأول : شخص مثل رجل وامرأة وزيد ، وعالم ومعلوم ونحوه من الصفات وعلم وقدرة ونحوه من المعانى .

والمقدمة خلوٌ من الشواهد النحوية نظراً لأنها تعرض أموراً عامة ، وتتجنب الفرعيات والاستشهادات التى عرضها المصنف بعدئذ فى شرح المقدمة إلا فى موضعين اثنين فى آخر فصل الاسم وهما :

يا صاح ما هاج العيون الذرفن

وقوله :

ويا أبتاً علك أو عساكا

* ونلاحظ أنه منطق فى عرضه لأى موضوع حيث يرتب الأمور على بعضها كما رأينا فى نموذج فصل العامل إذ يقول : العامل ما عمل شيئاً . وجملة العوامل أربعة : ثلاثة لفظية وواحد معنوى . فالمعنوى ضربان أحدهما عامل الرفع فى المبتدأ والآخر عامل الرفع فى المضارع فالمبتدأ قولك . . وهكذا .

* ولاحظنا أنه يحصى الكثير من المسائل بطريقة رقمية دقيقة ، وإن كان التوفيق قد جانبه فى إحصائه للحروف غير العاملة حين قال : وأما الحروف التى ليست بعاملة فنيف وستون . فقد قمنا بتحقيق لإحصائها فوجدناها تسعة وخمسين حرفاً .

* ولاحظنا أن طريقته فى علاج الفصول المتجانسة تكاد تكون واحدة فنجد طريقته تتفق فى علاج الاسم والفعل والحرف ، كما تتفق فى علاجه لفصول الإعراب كالرفع والنصب والجر والجزم .

وكان فى نهاية فصول الإعراب يجمل المرفوعات ثم يتناول ما بنى على الضم ، ويجمل المنصوبات ثم ما بنى على الفتح ، ويجمل المجرورات ثم المبنى على الكسر ، ويجمل المجزومات ثم ما بنى على السكون .

وكان فى نهاية فصول أقسام الكلم كالاسم والفعل والحرف يذكر خواص الأسماء وكذلك خواص الأفعال وخواص الحروف .

ملحوظة : وقد حقق المقدمة النحوية : حسام النعيمى بمجلة المجمع العلمى ببغداد ثم استلت وطبعت فى كتيب مستقل سنة ١٩٧٠ م وقد نشرها أحد المستشرقين بألمانيا وهو الدكتور « هايمان » .

٢ — شرح المقدمة النحوية(١) :

ولهذا الكتاب أسماء مختلفة منها :

شرح المقدمة النحوية — وهو الاسم الذى اشتهر به الكتاب، والهادى فى شرح المقدمة المحسبة ، والجمل الهادية فى شرح المقدمة الكافية .

وشرح المقدمة النحوية مازال مخطوطا يتوافر منه عدد ست نسخ بيانها كالآتى :

(ا) نسخة مصورة بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية بالقاهرة تحت رقم ٤٦/ نحو .

(ب) نسخة محفوظة بالمتحف البريطانى بلندن تحت رقم ١ر٣٩٥٥ .

(حـ) نسخة محفوظة بمكتبة الفاتيكان بإيطاليا تحت رقم ٣٤٢ .

(ى) نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٣ /نحو .

(هـ) نسخة ثانية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٨١/ نحو .

(و) نسخة ثالثة (غير كاملة) بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٧/ نحو /ش .

والكتاب شرح فيه ابن بابشاذ مقدمته التى ذاع صيتها فى النحو ، وأملى ذلك على تلاميذه .

وهذا الكتاب هو الذى حققناه فى القسم الثانى من كتابنا ، أما عن أوصاف نسخ المخطوطات الست ، وأهمية الكتاب ، وبيان منهجه فى التأليف ومايدور فيه من معالجة لمسائل وأبواب وقضايا نحوية مختلفة . فكل هذا يغنى عنه فى هـــذا المجال ماسوف يرد فى الباب الثالث من القسم الأول بكتابنا ، وهو الباب الذى أفردناه لدراسة هذا الأثر الهام الذى طارت

---

(١) يمكن الرجوع فيماقبل عن هذا المصنف الى المصادر الموضحة أمام شرح المقدمة بالقائمة الاحصائية .

شهرته فى الآفاق ، وفاقت الكثير من تصانيفه النحو المختلفة فى زمانه وما بعده كذلك .

وهذا المصنف هو الذى قال عنه الكثير :

هذا كتاب نفيس لم يؤلف مثله فى علم العربية(١) ، وقال عنه صاحب كشف الظنون(٢) : وكان أحسن مصنفاته فيها المقدمة وشرحها ، وقال عنه القفطى فى إنباه الرواة(٣) : وظاهر هذا ممن ظهر ذكره وسارت تصانيفه مثل المقدمة فى النحو وشرحها مسير الشمس ، ووصفها ابن خلكان(٤) بأنها من المصنفات المفيدة ، وكذلك ابن كثير (٥) فى البداية والنهاية .

٣ — شرح كتاب الجمل للزجاجى :

ويسمى كتاب الزجاجى أحيانا : كتاب الجمل الكبيرة .

والاسم الأول هو الاسم الذى عرف واشتهر به هذا الكتاب من خلال جميع كتب التراجم التى ذكرته ، ونسبته لصاحبنا ابن بابشاذ ، وهو مازال مخطوطا(٦) يتوافر منه فى خزائن المخطوطات : ست نسخ بيانها كالآتى (٧) :

(ا) نسخة تو بنجن تحت رقم ٦٢ .

---

(١) وردت هذه العبارة بأول ورقة من النسخة ٣٨١ / نحو بدار الكتب المصرية .

(٢) كشف الظنون ٢/٥٠٠ .

(٣) إنباه الرواة ٢/٩٥ .

(٤) وفيات الأعيان ٢/١٩٩ .

(٥) البداية والنهاية ١٢/١١٦ .

(٦) تم تحقيق هذا الكتاب فى منتصف سنة ١٩٧٣ م ضمن رسالة جامعية بالأزهر .

(٧) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٢/١٧٤ .

(ب) نسخة فاتيكان ثالث تحت رقم ١٠٩١ .
(ح) نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٨٣ .
(ى) نسخة أخرى « « « « ٤٠ .
(هـ) نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (فيض الله / ١٩٤٨ -نحو).
(و) نسخة أخرى مكررة من النسخة السابقة بدار الكتب .

فكرة عن الكتاب :

وقد قال محقق(١) هذا الكتاب أن نسخ الشرح ثلاثة مختصر ومتوسط وثالث قيل إنه شرح للفرق بين نسختى الجمل الصغرى والكبرى وقد حقق الباحث الشرح المتوسط .

وجاء بأول النسخة المختصرة : قال الشيخ الجليل أبو الحسن طاهر ابن أحمد بن بابشاذ رحمه الله : هذا كتاب نعتمد فيه شرح كلام أبى القاسم رحمه الله على طريق الاختصار والإيجاز . وفى الورقة الخامسة من هذه النسخة يقول : ولولا الملل والخروج عما يقتضيه المختصر لأوردت أصولا تتعلق بالتثنية والجمع لكن له مواضع من أبواب أخر تتعلق بها .

ويقول الباحث . ومن المقارنة بين شرحيه المختصر والمتوسط نرى أن روح ابن بابشاذ فى النحو والصرف هى هى ولا نجد كبير خلاف بل قد يزيد الشرح المختصر أحيانا عن الشرح المتوسط .

أما مقدمة ابن بابشاذ لهذا الشرح فجاء فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم — الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على خيرته من خلقه محمد وآله وسلم . قال الشيخ أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى الجوهرى رحمه الله :

---

(١) وقد اعتمدنا على هذه الرسالة فى المعلومات التى أوردناها عن هذا المصنف .

أما بعد حمد الله عز وجل بجميع محامده ، والصلاة على نبيه خير عباده محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ، فإن هذا الشرح لما كان يملى على طالبه بحسب غرضه من الإجمال والتوسط بين الإكثار والإخلال وكان عن جنى ثمرته وتعجل منفعته وقوى به قوة امتاز بها عن جميع الأقران ، وفارق بها أمثاله من طالبى هذا الشأن رأيت بعد استخارة الله عز وجل نقله من نسخته وذلك للراغبين فيه ، والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق والهادى إلى أبين مسلك وأنجى طريق .

وكل باب من أبوابه يشتمل على معرفة ثلاثة أشياء : معرفة ترجمته وقسمته وأحكامه . والله المستعان على ذلك وهو المعين ، ونعم المولى ونعم النصير . . وهذا إبتداؤنا فيه .

وجاءت بداية المخطوط يقول فيها : « النحو علم مستنبط أى مستخرج بالقياس من كتاب الله سبحانه وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام فصحاء العرب . وواضعه والمتكلم فيه والمبتدىء به على بن أبى طالب كرم الله وجهه ،والغرض به معرفة صواب الكلام من خطئه ومعرفة معانى كتاب الله عز وجل وفوائده » .

وجاء بآخر المخطوط :

« تم إملاء الجزء الثانى عشر من شرح الجمل — وهو آخر الكتاب — مما أملاه الشيخ أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى رحمة الله عليه ورضى عنه وغفر له ولوالديه ولجموع المسلمين والمسلمات ، وكان الفراغ من نساخته يوم الأحد لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول من شهور سنة اثنتين وثمانية وخمسمائة . . وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبى وآله وسلم تسليما » .

وقد حقق الباحث النص فى جزءين وقع الأول منهما فى ٢٨٠ ورقة والثانى فى ٣٥٩ من أوراق الرسائل الجامعية .

ترتيب الكتاب ومنهج ابن بابشاذ فيه :

يشتمل الكتاب على أبواب فى النحو والصرف والهجاء والخط واللغة ، وقد قرر الباحث أن ابن بابشاذ لم يخالف الزجاجى فى شىء من هذا الترتيب عند شرحه كتاب الجمل ، ولم يزد عليه إلا أنه بدأ الكتاب بمقدمة عامة عن النحو ونشأته والغرض به وطريق معرفته . كما أضاف ابن بابشاذ بعض أبواب الهجاء والشكل .

ولم يلتزم فى كثير من الأحيان أن يذكر عبارة الزجاجى مفصلة كما هى فى (الجمل) فنراه يذكر بعض العبارات ليفتتح بها بابا أو فصلا فيقول : قال أبو القاسم — ثم يذكر عبارته ثم يعقب عليها بقوله : وهذا كما ذكر ، ثم يتناول المسألة بالشرح والتحليل ويذكر ما فى المسألة من شروط واحترازات أو أصول وما يحتاجه الفصل من تعريف إلى غير ذلك ، وقد لا يذكر فى الباب شيئاً من عبارة الزجاجى ، بل تمضى عدة أبواب أو فصول لا ترى لكتاب الجمل فيها أثراً فى عبارات الشارح ، ويظهر ذلك كثيراً فى أبواب من النحو ،ففى باب الحال مثلا لا يذكر الشارح شيئاً من كلام الزجاجى ماعدا عبارة واحدة افتتح بها الباب بقوله : الحال هى هيئة الفاعل أو المفعول . . أما فى أبواب الصرف فكان أكثر التزاما بعبارة الزجاجى .

أما عن منهج ابن بابشاذ فى كتابه فقد حدده بطريقة واضحة فى مطلع الكتاب تحديداً يدل على عقل منظم وفكر منطقى فنراه يقول فى المقدمة : وكل باب من أبوابه يشتمل على معرفة ثلاثة أشياء : معرفه ترجمته وقسمته وأحكامه ، وقد التزم ابن بابشاذ بهذا المنهج الفريد فى شرحه ، ونراه غير مسبوق به ، وقد اعتاد ابن بابشاذ فى معظم أبواب الكتاب بعد السير فى منهجه هذا أن يجمع الأمور المتفرقة التى يحتاج إليها الباحث والدارس

بقوله : « ومن أصول هذا الباب . . » ويذكر بعد ذلك كل ما يمت إلى الباب بصلة أو ما يجب على الباحث والدارس معرفته .

وقد صاغ ابن بابشاذ هذا الشرح بأسلوبه العلمى المتأدب البعيد عن التكلف وعباراته القريبة المأخذ المترابطة فتراه يلتزم أسلوب المساواة دون إطناب ممل أو إيجاز مخل .

وفى نهاية حديثنا عن الكتاب نذكر نموذجا من حديثه عن صيغة — التعجب « ما أفعل » ونكتفى بجزء مما قاله عن (ما) :

« فمذهب سيبويه فى « ما » أنها نكرة تامة بمعنى شىء وهى مبتدأ خبره الجملة بعده ، ومذهب الأخفش وبعض الكوفيين أنها موصولة مبتدأ ما بعدها صلتها والخبر محذوف . (وقد انتصر لسيبويه واستدل له من جهة اللفظ والمعنى) أما من جهة اللفظ فإن الخبر موجود لا يحتاج إلى تقدير ، وهذا أولى ، وأما من جهة المعنى فلأن التعجب مما خفى سببه ، والصلة على رأى الأخفش موضحة للموصول . . . إلخ » .

* * *

٤ — شرح كتاب الأصول لابن السراج :

وهو من شروح ابن بابشاذ التى سارت مسير الشمس ، وانتشرت فى أنحاء مترامية من العالم الإسلامى ، وقد ذكرته كل المصادر التى ترجمت لابن بابشاذ .

ولم نوفق فى العثور على نسخ مخطوطة لهذا الكتاب ، ولكننا وجدنا ابن بابشاذ قد أشار إليه مرتين فى فصل الأسماء المضمرة من فصل الاسم فى « شرح المقدمة النحوية » الذى حققناه :

ففى الموضع الأول قال :

« . . وفى إياك وأخواتها خلاف بين العلماء وأصحها أن إيا : اسم مضمر والكاف حرف خطاب — وقد استوفيت ذلك فى شرح الأصول . . » .

وفى الموضع الثانى نجده قد أعاد الإشارة إليه فى نهاية حديثه عن اختلاف العلماء حول (إياك) فقال . « . . وهذا القول هو قول الأخفش وقول سيبويه وعليه العمدة لأنه قد قام الدليل على كون الكاف حرف خطاب لامتناع أن يكون لها موضع من الإعراب، الرفع والنصب والجر . فامتناع الرفع لأنها ليست من ضمائر المرفوع ، وامتناع النصب لأنه ليس له ناصب، وامتناع الجر لأن المضمرات لا تضاف لأنها معارف لا يفارقها تعريفها ولا يجوز إضافتها إلى غيرها . فهذا الحرف مما أشير إلى شرحه فى الأصول مقنع هاهنا . » .

* * *

٥ — التذكرة فى القراءات السبع :

ولم تنسب المصادر التى أطلعنا عليها هذا الكتاب لابن بابشاذ فى معرض ترجمتها له ، ولكننا وجدنا ذلك فى رسالة أحد الباحثين(١) فرأينا عرض ما كتبه بالنص مع تحفظنا عليه حيث لم يذكر أحد اهتماما آخر لابن بابشاذ غير دراساته النحوية ، وإن كانت القراءات من دراساته التى رجحنا اهتمامه بها قبل تصنيفه فى النحو . قال الباحث : « ومنها تعلم اشتغال ابن بابشاذ بعلم القراءات حتى الإجادة والتأليف فيه — ومن شابه أباه فما ظلم فأبوه أحمد ابن بابشاذ أبو الفتح الجوهرى النحوى من أعلام القراء ، قال عنه ابن الجزرى فى طبقات القراء (١ / ٣٤٠) : إمام شهير عراقى الأصل راوى التذكرة وهو والد طاهر النحوى المشهور (وكتاب التذكرة الذى رواه الوالد هو) فى القراءات الثمان لابن غلبون طاهر بن عبد المنعم — قد روى عنه التذكرة عرضا أبو الفتح والد ابن بابشاذ كما فى طبقات القراء (١/٣٤٩) ويظهر أثر القراءات فى كتابه شرح الجمل — الذى حققه الباحث — حيث

---

(١) شرح الجمل لابن بابشاذ — تحقيق ودراسة / رسالة دكتوراه الباحث مصطفى إمام بجامعة الأزهر سنة ١٩٧٣ م .

يشير فى كثير من المواضع إلى قراءات كثيرة فى الآيات الكثيرة التى زادت عن ستمائة آية . وفى باب الإدغام يستشهد بأكثر من مائة آية أكثرها متصل بالقراءات المختلفة .

* * *

ج - الآثار المفقودة :

بالرغم من قلة عدد تصانيف ابن بابشاذ إلا أن لها فى مجال التأليف والتصنيف قيمة ضخمة ، كما أن لها قيمتها العلمية .

وتصانيفه - كما أسلفنا - ستة يوجد منها خمسة تحظى بها خزائن المخطوطات فى مناطق مختلفة من العالم . أما الخامس فهو المفقود وهو الذى يسمى :

كتاب تعليق الغرفة فى النحو :

ويقال إن ابن بابشاذ لم يسم كتابه هذا ولكن تلاميذه سموه بهذا الاسم نسبة إلى الغرفة التى انقطع بها للعبادة فى جامع عمرو بن العاص .

وللكتاب مسميات أخرى منها : شرح النخبة أو التعليق فى النحو وتوصف بأنها : شكة كبيرة فى النحو أو تعليقة كبيرة فى النحو .

وسوف نعرض هنا ما قاله كتاب التراجم عنها فربما ألقى ذلك ببعض الضوء على هذا الأثر المفقود الذى يبدو أنه كان ذا أهمية كبرى ، وأنه استغرق سنوات طويلة فى التصنيف من عمر أبى الحسن بن بابشاذ .

فنجد ابن خلكان(١) يقول عنها :

« وجمع فى حال انقطاعه شكة كبيرة فى النحو يقال إنها لو بيضت قاربت خمس عشرة مجلدة ، وسماها النحاة بعده الذين وصلت إليهم : تعليق الغرفة ،

---

(١) وفيات الأعيان (٢ / ١٩٩)

وانتقلت هذه التعليقة إلى تلميذه أبي عبد الله محمد بركات السعيدى النحوى اللغوى المتصدر موضعه (والمتولى للتحرير أى بموضع ابن بابشاذ فى الجامع وفى ديوان الإنشاء) ثم انتقلت منه إلى صاحبه أبى محمد عبد الله بن برى النحوى المتصدر فى مكانه ، ثم انتقلت بعده إلى صاحبه أبى الحسين النحوى المنبوز بشلط الفيل المتصدر فى موضعه ، وقيل : إن كل واحد من هؤلاء كان يهبها إلى تلميذه ، ويعهد إليه بحفظها ، ولقد اجتهد جماعة من الطلبة فى نسخها فلم يتمكنوا من ذلك » .

وأكد هذا المعنى — فى إيجاز — ابن كثير القرشى فى البداية والنهاية(١) بقوله :

« وقد جمع تعليقة فى النحو ، وكان قريبا من خمسة عشر مجلداً فأصحابه كابن برى وغيره ينقلون منها وينتفعون بها ، ويسمونها تعليق الغرفة »

أما القفطى فقد روى فى إنباه الرواة(٢) ما رواه ابن خلكان وزاد عليه ما وضح قيمتها ، وأهميتها فقال بعد أن حكى ما نقلناه من وفيات الأعيان :

« ... ولما توفى ابن الحسين النحوى المقدم ذكره وبلغنى ذلك وأنا مقيم بحلب أرسلت من أثق به ، وسألته تحصيل « تعليق الغرفة » بأى ثمن بلغت ، وكتاب « التذكرة » لأبى على فلما عاد ذكر أن الكتابين وصلا إلى ملك مصر الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن نجم الدين أيوب فإنه يرغب فى النحو وغريب ما صنف فيه » .

أما ابن العماد(٣) فقال عنها فى الشذرات :

---

(١) البداية والنهاية (١٢ : ١٦٠)
(٢) إنباه الرواة (٢ : ٩٥) .
(٣) (شذرات الذهب ٣ : ٣٣٢)

ومن تصانيفه : مسودات توفى قبل تمامها قريب من خمسة عشر مجلداً .

ومن هذه الروايات التى نقلها علماء التراجم عن هذا المصنف الضخم المفقود نستنتج الملاحظات التالية :

١ — أن المصنف قد صنف هذا الكتاب فى فترة تزهده التى انقطع فيها عن عمله الرسمى بديوان الإنشاء ، وهجر زخرف الحياة ، وتفرغ للعبادة والعلم .

٢ — أن ابن بابشاذ أراد أن يختم حياته الحافلة بأثر علمى ضخم يظل شاهداً بأستاذيته وعلمه وتصدره مكاناً مرموقاً بين أعلام النحاة .

٣ — أن صاحبنا قد مات والكتاب فى مرحلة الإعداد كما مات سيبويه رحمه الله وترك (الكتاب) مسودات لم تتم ، ولكن يبدو أن تعليق الغرفة كان قد أوشك على الانتهاء .

٤ — لم يكن أبو الحسن طاهر بن بابشاذ قد وضع اسما محدداً لهذا الأثر العلمى الضخم ولكن تلاميذه هم الذين أعطوه تلك المسميات: تعليق الغرفة فى النحو ، أو شرح النخبة نظراً لضخامة الكتاب وأهميته .

٥ — أن وفاة صاحبنا — والكتاب لما يخرج إلى الناس بعد — جعل بعض طلابه المقربين إليه كأبى عبد الله السعيدى النحوى يستأثر بهذا الأثر الضخم لنفسه ، ويبخل به على الناس حتى يورثه فى آخر حياته إلى صديقه .

٦ — أن مسميات الشهرة الذائعة لهذا المصنف دعت الملك الكامل ملك مصر الراغب فى علم النحو أن يقتنيها بأغلى الأثمان من أهل أبى الحسين النحوى الذى استقرت النسخة عنده أخيراً حتى طلبها الوزير القفطى بأى ثمن فيأسف أن فاتته تلك الفرصة ..

٧ — المحاولات الكثيرة التى بذلها تلاميذه من بعده ومن بعدهم طالبو

العلم والأدب فى انتساخها ، ولكنهم لم يوفقوا فى ذلك لضخامتها ولبخل من يحتفظ بها ، وخوفه عليها . .

كل هذه المحاولات تؤكد أهمية هذا المصنف النحوى الكبير .

وبعد فمن خلال تلك الملاحظات تتضح القيمة العلمية لهذا المصنف الذى حرمت منه المكتبة العربية فى هذه العصور .

ونحن نتوجه — فى هذا المجال — بالنداء لكل من يعمل فى إحياء تراثنا العربى الخالد . . وكل من يحتفظ بمخطوط له قيمـــة فى مجالنا هذا وفى منطقتنا العربية والإسلامية أن ينقب عن هذا العمل العظيم ليتطوع المحققون المخلصون فى إخراجه وتزويد المكتبة العربية به . . فهو مما لا شك فيه أثر علمى ضخم، ومصنف نحوي لايجب أن نستهين به أو نسكت أو نتوانى فى البحث عنه . .

ترتيب تصانيف ابن بابشاذ :

وفى نهاية هذا الفصل وبعد أن استكملت الحديث عن تصانيف الشيخ أقوم بترجيح لترتيب هذه التصانيف فأقول :

(ا) إنه صنف شرح الأصول لابن السراج أولا وذلك لأنه أشار إليه فى المقدمة وشرحها — كما اسلفت فى حديثى عن كتاب شرح الأصول

(ب) ثم صنف كتاب المقدمة النحوية التى أشار إليها فى تصانيفه بعد ذلك وصنف بعدها : شرح المقدمة النحوية التى تترتب منطقيا على المقدمة النحوية .

(د) وأتبع ذلك تصنيفه لكتاب : شرح الجمل الزجاجى ، ونستدل على ذلك بقوله فى هذا المصنف عند الكلام على الضمائر :

« وهن نيف وستون مضمراً قد ذكرت فى المقدمة ... » .

(٥) ويأتى أخيراً تصنيفه لتعليق الغرفة الذى قيل إنه صنفه فى خمسة عشر مجلداً ، ومات قبل أن يضع له عنواناً وكان ذلك فى فترة تزهده واعتزاله بإحدى غرف جامع عمرو بن العاص بالقاهرة — كما أسلفنا فى الحديث عن هذا الكتاب منذ قليل .

* * *

الفصل الثاني

آراؤه من كتاب النحو

حاولنا — فى سبيل استكمال هذه النقطة الجوهرية من نقاط البحث — أن نتخير عدداً من كتب النحو ومصادره الهامة التى تتداول بين الباحثين كى نستقصى ما أخذت وما نقلت من آراء نحوية عن صاحبنا ابى الحسن طاهر ابن أحمد بن بابشاذ . . وكانت المصادر التى اخترناها سبعة مصادر بيانها على النحو الآتى .

(ا) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ومعه شرح شواهـد العينى (أربعة أجزاء) .

(ب) الدرر اللوامع على همع الهوامع (جزءان) .

(حـ) مغنى اللبيب ومعه حاشية الشيخ الأمير (جزءان) .

(د) شرح ابن عقيل (نسختان / أربعة أجزاء) .

(هـ) شرح التصريح على التوضيح ومعه حاشية الشيخ العليمى (جزءان)

(و) شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذى (محقق / أربعة أجزاء) .

(ز) المفصل فى علم العربية للزمخشرى .

ولقد قمت بعملية استقصاء شاملة لما اقترن باسم صاحبنا وآرائه من خلال تلك الكتب فوجدت الحقائق الآتية :

١ — قد نقل الكتاب الأول عن ابن بابشاذ أحد عشر رأياً فى أحد عشر موضعاً منها رأى فى الجزء الأول، وثلاثة آراء فى كل من الثانى والثالث، وأربعة آراء فى الجزء الرابع .

٢ — لم نجد فى المصدر الثانى أن الشنقيطى صاحب الدرر أو السيوطى صاحب الهمع قد أورد اسم ابن بابشاذ وإن كان لا يستبعد أن يكون قد أخذ عنه بعض الآراء المشهورة ولم ينسبها إليه ويكون قد اكتفى بنسبتها إلى سيبويه كما فعل كثيراً ، لأن ابن بابشاذ كان يوافق سيبـويه فى العديد من المسائل .

٣ — أما المصدر الثالث فوجدنا أن ابن هشام قد نقل عنه رأياً واحداً في موضع واحد بالجزء الأول ، ولم نعثر على شيء بالجزء الثاني .

٤ — أما المصدر الرابع فلم نجد ذكراً له في أي جزء من أجزائه الأربعة بالرغم من أن ابن عقيل يعتبر من تلاميذ ابن بابشاذ ، ولا بد أن يكون قد أفاد منه ونقل عنه ؛ ولكنها طريقة ابن عقيل فهو قليلا ما يذكر الأسماء في شرحه .

٥ — وأما المصدر الخامس فقد نقل عن صاحبنا ستة آراء في ستة مواضع ، ثلاثة منها بالجزء الأول ، وثلاثة أخر بالجزء الثاني .

٦ — أما المصدر السادس من المصادر التي قرأناها وهو مصدر صرفي كامل فلم نجد ذكراً لأحد آراء ابن بابشاذ بها .

٧ — والمصدر السابع والأخير — وهو مصدر نحوي صدر بعد وفاة صاحبنا بخمس وأربعين سنة فقط ، ولكننا لم نعثر على اسم ابن بابشاذ بين صفحاته حيث لم يكثر الزمخشري من إيراد أسماء النحاة وهو يقتبس آراءهم.

أولا : الآراء المأخوذة عن « شرح المقدمة النحوية :

ويهمنا في هذا المجال تصنيف تلك الآراء وإثباتها فنبدأ أولا بإثبات آرائه التي نقلها عنه النحاة من كتابه المذكور : شرح المقدمة النحوية ، وكان ذلك في أربعة مواضع من تلك المصادر التي اخترناها ، أي أن جملة الآراء أو المسائل النحوية التي نقلت عنه في « شرح المقدمة النحوية » هي أربع مسائل — إثباتها كالآتي :

(ا) ذكر الصبان في حاشيته(٢) : هلا وألا وألا قال : يليها الفعل في المضارع قال الفارضي قال سيبويه : إنها في الأدوات المذكورة كلها للتحضيض سواء وليها ماض أو مضارع : وأبو الحسن بن بابشاذ : إن وليهن المستقبل كن تحضيضاً للفاعل على الفعل ليفعله نحو : هلا تضرب اللص

(١) شرح التصريح (٢ : ١٠٠) .
(٢) حاشية الصبان على الأشموني (٤ : ٥٠)

وإن وليهن الماضى كن توبيخا لا تحضيضا[1] لامتناع طلب الماضى نحو: لولا ضربت اللص أى لأى شىء ما ضربته.

وبالبحث تبين أن الصبان قد أخذ هذه المسألة حين علق هذه الأدوات (هلا وألا وألا) أخذها عن كتابنا شرح المقدمة النحوية فى حديثه عن حروف التحضيض ضمن كلامه عن الحروف غير العاملة فقال: «ومنها أربعة للتحضيض وهى: لولا وهلا ولوما وألا — إذا وليهن الفعل المستقبل كن تحضيضا، وإذا وليهن الماضى كن توبيخا ..»

والمسألة — كما نرى — قد نقلت عبارتها بالنص وإن كانت عبارة شرح المقدمة النحوية موجزة حيث ذكر الأمثلة بعد ذلك ولم يذكرها وسط الكلام كما استشهد الصبان.

٢ — فى باب التعدى واللزوم للأفعال قال الشيخ يس العليمى فى حاشيته تعقيباً على قول ابن هشام: «والفعل ثلاثة أنواع»، قال:

«... وقيل إن الأصل التعدى بالجار لأن الزيادة لا يقدم عليها إلا بدليل — قال ابن بابشاذ، وقال أبو حيان: فتلخص ثلاثة مذاهب؛ قسم برأسه الأصل التعدى بالجار؛ والأصل التعدى بنفسه وحرف الجر الزائد .. وقال الشيخ العليمى: وهذا لم يحكه أبو حيان عن أحد وكأنه غلط فى فهم كلام ابن بابشاذ فتأملوه».

وبالبحث تبين أن المعلق على (شرح التصريح) قد أخذ هذه المسألة من كتاب (شرح المقدمة النحوية) فى الحديث عما يتعدى بواسطة من حرف جر فقال:

«ومنها نوع سادس يتعدى بواسطة من حرف جر أو غيره مثل: مررت

---

(١) شرح التصريح (٢/٣٠٨٠١)

بزيد ونزلت على عمرو — فهذا مفعول مجرور فى لفظه منصوب فى معناه وتقديره يدلك على ذلك أنه يجوز أن تعطف عليه بالمنصوب والمجرور ، ويلحق بهذا مايتعدى تارة بنفسه وتارة بحرف جر مثل : شكرت زيدا وشكرت له . . . الخ .

ويبدو هنا أن الشيخ العليمى قد فهم هذه النقطة واستفاد بها وعبر بمعناها وليس بنصها .

وذكر المعلق علة تغليطه لأبى حيان فى فهم كلام ابن بابشاذ بقوله : فإن قلت إنه لما حكى عن ابن عصفور ماذكرت قال عنه فإن كان الفعل يحصل بنفس المفعول ويوجد تارة بالحرف وتارة بدونه ، جعلنا الأصل حصوله بنفسه والجار زائد نحو : مسحت برأسى ورأسى ، وحسنت بصدره وصدره لأن التحسين يحصل بالصدر فهذا يكون مراده ، قلت : فكان يجب أن يجعل القول الثالث - التفصيل بين باب نصح وباب مسح .

٣ — وفى باب الحال ذكر (شرح التصريح)(١) بعد قوله : « وقال أبو حيان وتسمى الحال الجامدة الموصوفة حالا موطئة لأنها ذكرت توطئة للنعت المشتق - وقال ابن بابشاذ فى : (وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا)(٢) ، لسانا : حال لأنه لما نعت اللسان بعربى والصفة والموصوف كالشىء الواحد صارت الحال مشبهة بالمشتق وصار عربيا هو الموطئة لكون اللسان حالا ، وليس حقيقة اللسان أن يكون جامدا لولا ماذكر من الصفة » .

وبالبحث فى كتابنا (شرح المقدمة النحوية) وجدنا أن شرح التصريح قد أخذ هذه المسألة عنه فى أثناء حديثه عن الحال حيث قال : « وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا — فهذا : مبتدأ ، وكتاب : خبره ، ومصدق :

---

(١) شرح التصريح (١ : ٣٧١) .
(٢) سورة الأحقاف/ ١٢

نعته ، ولسانا : حال فى أحد الوجهين لأنك لما نعت اللسان بعربى والصفة والموصوف كالشىء الواحد صارت الحال مشبهة بالمشتق ، وصار عربيا هو الموطىء لكون اللسان حالا وليس حقيقة اللسان أن يكون حالا لكونه جامداً لولا ماذكر من الصفة » .

ونستنتج من هذه المقارنة أن شرح التصريح قد نقل العبارة عن (شرح المقدمة النحوية) بنصها .

وفى حاشية شرح التصريح أورد الشيخ يس العليمى (١) معارضته ومعارضة الصفاقسى لرأى صاحبنا فقال : « قال الصفاقسى فى سورة الزمر فى الكلام على هذه الآية : قيل الحال قرآنا ، وعربيا : توطئة ، ومعنى التوطئة أن الاسم الجامد لما وصف بما يجوز أن يكون حالا صلح أن يكون حالا ، وبه يعلم أن قول الشارح الآتى فى نقل كلام ابن بابشاذ — وليس حقيقة اللسان أن يكون جامداً ... الخ ، صوابه أن يكون حالا لأنه المناسب لسياق الكلام كما دل عليه كلام الصفاقسى ، ولأن لفظ اللسان جامد لأنه ليس من المشتقات فكيف ينفى جموده فتدبر قوله فمقتضاه أن الموطئة صفة الحال مقتضاه أن الحال نفسها تسمى موطأة — بفتح الطاء ، وكان اللائق بالشارح التنبيه على ذلك لئلا يتوهم أن ما ضبطه به أولا من كسر الطاء جار على كلام ابن بابشاذ » .

٤ — وفى باب عطف النسق قال صاحب شرح التصريح (٢) :

« من حروف العطف ماينفى عما بعده ما ثبت لما قبله وهو (لا) عند النحاة الجميع نحو : جاء زيد لاعمرو ، (وليس) عند البغداديين كما نقله ابن عصفور وأبو جعفر النحاس وابن بابشاذ عند الكوفيين ، وجرى عليه فى التسهيل كقول لبيد :

---

(١) حاشية العليمى على شرح التصريح (١ : ٣٧١) .

(٢) شرح التصريح (٢ : ١٣٥) .

إذا أقرضت قرضا فأجزه إنما يجزى الفتى ليس الجمل

برفع الجمل عطفا على الفتى ...»

وبالنظر وتتبع هذه المسألة فى (شرح المقدمة النحوية) وجدنا ابن بابشاذ قد تحدث فى الشرح عن (لا) ولم يتحدث عن (ليس) مما يحتمل معه أن يكون (شرح التصريح) قد نقل عن شرح المقدمة بالنص ماقاله عن (لا) العاطفة ، ونقل عن مصدر آخر لابن بابشاذ ماقاله عن (ليس) العاطفة .

قال ابن بابشاذ فى (شرح المقدمة) وهو يبسط الحديث فى أحرف العطف: « و (لا) معناها إخراج الثانى مما دخل فيه الأول ولايعطف بها إلا بعد موجب مثل قام زيد لا عمرو والا أقسام كثيرة . . . ألخ » .

ثانياً — الآراء النحوية المأخوذة عن كتب أخرى لابن بابشاذ:

نعرض فى هذا المجال تلك الآراء الأخرى التى استبطناها من كتب النحو التى بحثنا فيها عن آراء ابن بابشاذ فى النحو . . وهى آراء لم تستنبط من شرح المقدمة التى كانت بمثابة استعراض موجز لأبواب النحو ، بل هى مأخوذة بالطبع من كتبه الأخرى المخطوطة كشرح كتاب الأصول لابن السراج، وشرح كتاب الجمل للزجاجى ، ولانستطيع الجزم بأن رأيا واحدا منها قدااستنبط من كتاب تعاليق الغرفة فى النحو نظراً لأنه مفقوداً منذ زمن طويل ، وكما قيل فقد بخل تلاميذه على الناس بها كما أن ضخامتها حالت دون انتساخها لمن أتيح له ذلك من طلاب العلم منذ قرون عدة .

وهذه الآراء وردت فى عشرين موضعا تمثل تسعة آراء بيانها كالآتى .

١ — عند الحديث عن شواهد (ما ولا ولات وإن) المشبهات بليس ذكر

العينى[1] فى حاشية الصبان على الأشمونى تعليقاً على قول الشاعر :

وما الدهرُ إلا منجنونا بأهلِهِ   وما صاحبُ الحاجاتِ إلا معذبا

قال العينى : « وزعم ابن بابشاذ أن أصله : كمنجنون ثم حذف الجار فانتصب المجرور » .

ومن هنا نرى أن العينى يعارض صاحبنا حيث يرى أن انتصاب منجنون كنصب المصادر أو بفعل محذوف أى : وما الدهر إلا يشبه منجونا .

وقد بحثنا فى (شرح المقدمة) عن ذلك فى الحروف العاملة والحديث عن (ما) فلم نجدها .

٢ — وفى الحديث عن (ظن وأخواتها) قال الصبان (٢) جعل الأخفش من ذلك الباب : سمع المتعلقة بمسموع نحو : سمعت كلاما — ووافقه على ذلك الفارسى وابن بابشاذ وابن عصفور وابن الصائغ وابن أبى الربيع وابن مالك ، واحتجوا بأنها لما دخلت على غير مسموع أتى بمفعول ثان يدل على المسموع كما أن (ظن) لما دخلت على غير مظنون أتى بعد ذلك بمفعول ثان يدل على المظنون ، والجمهور أنكروا ذلك .

وقد بحثنا عن هذه المسألة فى (شرح المقدمة) فى حديثه عن العوامل اللفظية من الأفعال فلم نجدها .

٣ — (ا) وفى باب الاشتغال ذكر الأشمونى (٣) تعليقاً على الشاهد :
وقائلة خولان فانكح فتاتهم ...

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ومعه شرح الشواهد العينى ١ : ٢٤٨ .
(٢) حاشية الصبان على شرح الأشمونى (٢ : ١٩) .
(٣) نفس المصدر (٢ : ٧٧) .

وقال : « وقال ابن السيد (البطليوسى) وابن بابشاذ: يختار الرفع فى العموم كالآية والنصب فى الخصوص كزيداً اضربه ، ولا يعمل الجواب فى الشرط فكذلك ما أشبهه ومالا يعمل لا يفسر عاملا » .

والآية المقصودة فى كلام الأشمونى هى قوله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا » وقد قمنا بالبحث عن هذه المسألة فى (شرح المقدمة) فوجدنا أنه قد اكتفى هناك بذكر منع دخول الفاء على الخبر إلا فى الشعر مستشهدا بقول الشاعر :

(وقائلة خولان . . .)

(ب) ونفس المسأله نقلها (شرح التصريح (١)) فى باب الاشتغال بعد قوله: « وقرأ عيسى بن عمرو : (والسارق والسارقة(٢)) — بالنصب — وقال البطليوسى وأبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ: ويختار الرفع فى الاسم المنظور فيه إلى العموم بالأمر كالآية ونحوها كالسارق والسارقة فاقطعوا اشبهه بالشرط فى العموم والأبهام ، ويختار النصب فى الاسم المنظور فيه إلى الخصوص بالأمر كزيدا اضربه لعدم مشابهته للشرط » .

٤ — (ا) وحين تناول الأشمونى الضمير المتصل بالحديث وقال « اختلف فى الضمير المتصل » وعلق عليه الصبان(٣) بقوله : « كون الكاف فى (عليك) وأخوانه ضميراً هو مذهب الجمهور ، وذهب ابن بابشاذ إلى أنها حرف خطاب كالكاف فى (ذلك) .

---

(١) شرح التصريح (١ : ٢٩٩)
(٢) سورة المائدة /٣٨ .
(٣) حاشية الصبان على الأشمونى (٣ : ٢٠١) .

(ب) ونفس المسألة فى باب أسماء الأفعال يقول صاحب شرح التصريح[١]: « اختلف فى الكاف المتصلة بعليك وأخواته فقال ابن بابشاذ : هى حرف خطاب ، وقال الجمهور : هى ضمير المخاطب » .

واستقصينا (شرح المقدمة النحوية) فى هذه المسألة فلم نجدها فى باب الحروف أو فصل الضمائر المتصلة أو أسماء الأفعال ويبدو أن المسألة قد أخذت عن شرح الأصول حيث أشار المصنف فى الحديث عن الكاف فى إياك أنه استوفاها فى شرح الأصول .

٥ — (ا) قال الأشمونى[٢] فى الكلام عن إعراب الفعل معلقا على الشاهد :

إذنْ والله نرميهم بحربٍ   يشيبُ الطفل من قبل المشيبِ

قال : « وأجاز ابن بابشاذ الفصل بالنداء والدعاء ، وأجاز ابن عصفور الفصل بالظرف » .

(ب) ونفس المسألة قال فيها ابن هشام[٣] وهو يتحدث عن (إذن) قال : (وأجاز ابن عصفور الفصل بالظرف ، وابن بابشاذ الفصل بالنداء والدعاء .) وقد بحثنا عن هذه المسألة فى (شرح المقدمة النحوية) عند موضوع إعراب الفعل المستقبل وبالظروف المبنية فلم نجد لها ذكرا .

٦ — وفى باب العدد قال الأشمونى[٤] : « وهمزة أحد فى (أحد عشر كوكبا) مبدلة من واو — وقال الصبان : فى الفارضى عن ابن بابشاذ أن أحد

---

(١) شرح التصريح (٢ : ١٩٨) .
(٢) شرح الاشمونى (٣ : ٨٩) .
(٣) مغنى اللبيب (١ : ٢٠) .
(٤) حاشية الصبان على الأشمونى (٤ : ٦٧) .

المنقلبة همزتها عن واو المستعملة فى العدد هى التى فى نحو قولك : كل أحد فى نحو قولك : كل أحد فى الدار ، وجمعها آحاد ، وأما التى تستعمل بعد النفى نحو : ماجاءنى من أحد فهمزتها أصلية غير مبدلة ولا تجمع ولا تستعمل فى العدد ولا فى المثبت» .

ولم نجد شيئاً عن هذه المسألة فى (شرح المقدمة النحوية) بفصلى الحذف والبدل من باب الخط .

٧ — وفى باب التصغير عند حديث الأشمونى عن الظروف : وراء وأمام وقدام وعند — قال الصبان(١) : « وفى الفارضى أيضاً عن ابن بابشاذ : ولا تصغر (عند) لأن المراد بتصغير الظروف القرب . (عند) فى غاية القرب ، فلا فائدة فى تصغيرها . قال : وكذا لا تصغر (غد) حملا على نقيضه وهو (أمس) لأن أمس غير متمكن بما تضمنه من معنى الحرف » .

وقد بحثنا عن ذلك فى كتاب (شرح المقدمة النحوية) لابن بابشاذ فلم نجده قد تناوله فى حديثه عن الظروف أو عن خواص الأسماء .

٨ — ذكر الأشمونى(٢) فى حديثه عن التنبيهات التى أوردها فى نهاية حديثه عن الإبدال والإعلال — قال : « ذكر ابن بابشاذ لهذا الإعلال شرطا آخر وهو أن لا يكون التصحيح للتنبيه على الأصل المرفوض واحترز بذلك عن : القوَد والصيَد والجيَد والحيَدى والحوَكة والخوَنة» .

وهذه المسألة لم نجدها فى كتاب ابن بابشاذ (شرح المقدمة النحوية) وقد تكون فى أحد كتابيه : شرح الجمل أو شرح الأصول .

---

(١) حاشية الصبان على الأشمونى (٤ : ١٧٢) .
(٢) نفس المصدر (٤ : ٣١٩) .

٩ — (ا) نقل الأشمونى(١) فى شرحه تعليقاً على الشاهد الذى يقول :

ألا حبذا أهل الملا غير أنه إذا ذكرت م فلا حبذا هيا

قال فى شرح التسهيل : أغفل كثير من النحويين التنبيه على امتناع تقديم المخصوص فى هذا الباب ؛ قال ابن بابشاذ : وسبب ذلك توهم كون المراد من زيد فى : حبذا زيد ـ حب هذا ، قال فى شرح التسهيل : وتوهم هذا بعيد فلا ينبغى أن يكون المنع من أجله بل المنع من إجراء حبذا مجرى المثل ، ويجب فى (ذا) أن يكون بلفظ الإفراد والتذكير ».

(ب) ونفس المسألة نقلها شرح التصريح(٢) على التوضيح فى أثناء شرحه لقول ابن مالك :

« وأول ذا المخصوص أيا كان ، لا تعدل بذا فهو يضاهى المثلا

ذكر ـ وقال ابن بابشاذ : إنما امتنع تقديم المخصوص على حبذا لئلا يتوهم أن فى (حب) ضميرا مرفوعا على الفاعلية يعود على المخصوص ، وأن (ذا) مفعول به . . قال ابن مالك : وتوهم هذا بعيد فلا ينبغى أن يكون المنع من أجله ثم علله بجريانه مجرى المثل كما تقدم » .

وقد نقل الأشمونى وشرح التصريح هذه المسألة التى عرضناها فى حديثهما عن (نعم وبئس) ووجدنا تلك المسألة مأخوذة عن كتاب غير شرح المقدمة النحوية ، فى الحديث عن (حبذا) .

---

(١) الصبان على الأشمونى (٣ : ٤١).

(٢) شرح التصريح (٢ : ١٠٠)

ونظرة عامة وشاملة نلقيها على الآراء السابقة التى أوردناها لابن بابشاذ مما نقل عنه النحاة سواء تلك الآراء التى نقلوها عن (المقدمة النحوية وشرحها) أو تلك التي نقلوها عن كتبه الأخرى .

نرى مدى عمقه ودقته وترتيبه المنطقي لأى مسألة يتعرض لها كما نرى أنه كان صاحب رأى وأنه كان بصفة عامة يوافق البصريين وسيبويه بوجه خاص .

وكان يخالف جمهور النحاة أحيانا حين يتعرض لمسألة فيها ندرة أو شذوذ فمن ذلك معارضة ابن مالك له حين قال ابن بابشاذ فى المسألة التاسعة من الآراء المنقولة عنه آنفا قال : إنما امتنع تقديم المخصوص على حبذا لئلا يتوهم أن فى (حب) ضميراً مرفوعا على الفاعلية يعود على المخصوص ، وأن (ذا) مفعول به .

فعارضه ابن مالك(١) فى شرح التسهيل بقوله . وتوهم هذا بعيد فلا ينبغى أن يكون المنع من أجله ثم علله بجريانه مجرى المثل .

كما أورد صاحب حاشية شرح التصريح معارضة الصفاقسى لابن بابشاذ ، ويمكن الرجوع إلى ذلك فى المسألة الثالثة من آرائه التى نقلها العلماء عن (شرح المقدمة) .

وسنعرض نموذجا من نماذج مخالفته لسيبويه الذى تتلمذ ابن بابشاذ على كتابه بعد أن نذكر قول سيبويه فى (هلا وألاّ وألا) . قال الفارضى قال(٢) : « إن الأدوات المذكورة كلها للتحضيض سواء وليها ماض أو مضارع » .

---

(١) شرح التصريح (٢ : ١٠٠) .
(٢) حاشية الصبان على الأشمونى (٤ : ٥٠) .

ونرى أن ابن بابشاذ قد عارض أستاذه ، وعرض القضية بطريقة جديدة حين قال(١) : « إن وليهن المستقبل كن تحضيضا للفاعل على الفعل ليفعله نحو : هلا تضرب اللص ، وإن وليهن الماضى كن توبيخا لا تحضيضا لامتناع طلب الماضى نحو : لولا ضربت اللص أى : لأى شىء ما ضربته » .

كما يتضح من نفس المسألة شخصية ابن بابشاذ المستقلة حتى عن أستاذه الذى أغرم بكتابه ونقل عنه الكثير ، ويتضح مدى اهتمامه بضرب الأمثلة لتوضيح كلامه .

ومن نماذج دقته فى التعبير وترتيبه المنطقى فى الكلام قوله فى المسأله الثالثة من آرائه التى نقلت عن شرح المقدمة قوله(٢) :

« وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا(٣) ، لسانا : حال ، لأنه لما نعت اللسان بعربى — والصفة والموصوف كالشىء الواحد صارت الحال مشبهة بالمشتق ، وصار عربيا هو الموطئة لكون اللسان حالا ، وليس حقيقة اللسان أن يكون جامدا لولا ماذكر من الصفة » .

ومن نماذج دقته وإيجازه ما نقله عنه(٤) العينى فى المسألة الأولى من المسائل المنقولة من كتبه الأخرى قوله : « . . وزعم ابن بابشاذ أن أصله : إلا كمنجنون ثم حذف الجار فانتصب المجرور » وإن كان العينى قد عارضه بعد ذلك — كما أسلفنا .

ومن أمثلة عمقه ودقته ما نقله عنه الفارضى ورواه الصبان(٥) حين قال :

---

(١) حاشية الصبان على الأشمونى (٤ : ٥٠) .
(٢) شرح التصريح (١ : ٣٧١) .
(٣) سورة الأحقاف /١٢ .
(٤) حاشية الصبان على الأشمونى وشرح شواهد العينى (١ : ٢٤٨) .
(٥) حاشية الصبان على الأشمونى وشرح شواهد العينى (٤ : ١٧٢) .

« ولاتصغر (عند) لأن المراد بتصغير الظروف القرب ، وعند — في غاية القرب فلا فائدة في تصغيرها ، قال : وكذا لا تصغر (غد) حملا على نقيضه وهو (أمس) لأن (أمس) غير متمكن بما تضمنه من معنى الحرف » .

ولابن بابشاذ كثير من الآراء التي نقلها عن سيبويه نورد منها في هـذا المجال مثالا واحداً ونكتفي به حيث أننا سنكثر من إيراد هذه الأمثلة ومن التعليق عليها في الباب الثالث حين نتعرض لكتاب (شرح المقدمة النحوية) بالدراسة والتحليل .

فيقول ابن بابشاذ في كتابه هذا عنه الحديث عن ضمائر النصب المنفصلة :
« إن إيا اسم مضمر والكاف حرف خطاب ، وهذا القول هو قول الأخفش وقول سيبويه وعليه العمدة لأنه قد قام الدليل على كون الكاف حرف خطاب لامتناع أن يكون لها موضع من الإعراب » .

وهكذا كانت آراء ابن بابشاذ في النحو مجالا خصبا أفاد منه الجميع ، ونهل معه الناهلون .

* * *

الباب الثالث

دراسة شاملة حول الكتاب المحقق « شرح المقدمة النحوية » :

ويقع فى أربعة فصول :

الفصل الأول : بيان ووصف النسخ المخطوطة .

الفصل الثانى : توثيق الكتاب .

الفصل الثالث : منهج المؤلف وتحليل موضوعى لكتابه .

الفصل الرابع : موقف ابن بابشاذ من النحاة وموقفهم منه .
(من خلال كتابه)

الفصل الأول
بيان وصف النسخ المخطوطة

ويحمل هذا الكتاب أسماء مختلفة منها :

- شرح المقدمة النحويه (وهو الاسم لذى اشتهر به).
- والجلى المادية فى شرح المقدمة الكافية .
- والهادى فى شرح المقدمة المحسبة .

والكتاب كما ذكرت من قبل مخطوط — حققته هنا — ويوجد منه ست نسخ بمختلف مكتبات العالم بيانها وأرقامها والرموز التى أعطيتها للموجود لدينا منها كالآتى :

(ا) نسخة مصورة « بالميكروفيلم » بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ،وتحفظ تحت رقم ٤٦/ نحو ٠٠ وقد قمت بتكبيرها ، وهى النسخة العمدة، وأعطيتها الرمز (ج) نسخت سنة ٦٥٣ هجرية .

(ب) نسخة محفوظة بالمتحف البريطانى بلندن تحت رقم ١/٣٩٥٥ وقد استجلبتها مصورة مكبرة ، وأعطيتها الرمز (م) ، وقد نسخت سنة ٧١١ هجرية.

(ج) نسخه محفوظة بمكتبة الفاتيكان الرسولية بمدينة الفاتيكان بإيطاليا تحت رقم ٣٤٢ ، وأعطيتها الرمز (قا) ونسخت سنة ٩٩١ هجرية .

(د) نسخة محفوظة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم ٣٧٣ / نحو وقد قمت بتصويرها ثم تكبيرها ، وأعطيتها الرمز (ك) ونسخت سنة ٦٠٣ هجريه .

(ه) نسخة ثانية محفوظة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٢٨١ / نحو ، لم نتمكن من الحصول عليها بالرغم من اطلاعى عليها ذات مرة ، ونسخت سنة ٧٥٣ هجرية .

(و) نسخة ثالثة (ناقصة) محفوظة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٦٧ /

نحو/ش ونسخت سنة ٦٨٣ هجرية ، وهى محفوظة بمخازن الدار بالقلعة ، ولا يسمح بالاطلاع عليها أو تصويرها .

* * *

(أ) وصف النسخة (ج) :

وعنوانها : كتاب الجمل الهادية فى شرح المقدمة الكافية إملاء الشيخ الإمام طاهر بن أحمد بن بابشاذ .. وهى نسخة خطية محفوظة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية بالقاهرة تحت رقم ٤٦ / نحو (مصورة بالميكروفيلم) وعدد أوراقها : مائة وسبع وتسعون ورقة احتوت الأولى على العنوان وبعض الأحكام والتعليقات والتمليكات ، والثانية على تعليقين ، واستغرق النص مائة وخمساً وتسعين ورقة .

ولا نستطيع القطع بوصف مقاس الصفحات نظراً لأننا استجلبنا النسخة مصورة « بالميكروفيلم » ثم كبرناها فضلا عن أنها توجد فقط مصورة بالميكروفيلم بجامعة الدول العربية،

واحتوت كل صفحة على تسعة عشر سطراً ، ومتوسط كلمات كل سطر حوالى خمس عشرة كلمة .

ويوجد قليل من التعليقات بهوامش بعض الصفحات ، وتاريخ نسخها : يوم الجمعة تاسع عشر المحرم من سنة ثلاث وخمسين وستمائة هجرية .

واسم الناسخ : على حسان .

والنسخة مكتوبة بخط نسخى واضح إلى حد كبير ، ويظهر أنها من خطوط القرن السابع التى اتسمت بإعجام الكلام وضبطه وإن كان الضبط بالنسخة قليل.

وهى قليلة الخطأ أو التحريف اللهم إلا فى قليل من المواضع التى نبهنا عليها

فى هوامش التحقيق .. ومن ملاحظاتنا على طريقة الخط فى النسخه :

عـــــدم إثبات الهمزات فى أى موضع ، والكاف المرفوعة كانت تكتب بدون شرطتها الأفقية من أعلاها فكانت تشبه اللام ، كما نقص النقط والإعجامُ من بعض الكلمات مما سبب غموضاً فى تفسيرها وتحقيقها ، وكانت ألف المد أو الوصل تلصق بما بعدها ، ويوضع تحت الياء المتأخرة المنفردة نقطتان ، وحذفت ألف المد من كلمة ثلاثة (ثلثة) كالرسم القرآنى ، وقلبت الألف الثالثة ياء مثل (كذى) بدلا من (كذا) كما كان يضبط كتابته بطريقة النقط فكان يعبر عن الكسرة بنقطة أسفل الحرف والفتحة نقطتان فوقه ، والسكون نقطتان تحت الحرف وأحياناً يكون تحت حرف ما ثلاث نقط تشبه نقطة الشين فى وضعها ، أما صفحة العنوان فتمتلىء بالتعليقات والتمليكات وأختام الوقف للنسخة وبعض أبيات الشعر كقوله :

لا تنظرن إلى سبق وتقدمة وانظر إلى الفضل أنى كان فى الأبد

أما الصفحة التى تليها فكتب عليها فى الركن الأيسر .

مقدمة ابن بابشاذ فى النحو : وهو الشيخ طاهر بن أحمد النحوى توفى سنة تسع وستين وأربعمائة .. قال : النحو علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله تعالى والكلام الفصيح ، والغرض به معرفة صواب الكلام من خطئه إلى آخره — شرحها الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩ هجرية ، والشيخ عبد الرحمن بن عتيق الصقلى ، توفى سنـــــة ٥١٦ هجرية ، ونظمها سراج الدين عبد اللطيف بن أبى بكر ، ومن شروحها: الحاصر لفوائد المقدمة لطاهر للشيخ الإمام عماد الدين والإسلام يحيى بن حمزة العلوى .. أوله : الحمد لله الذى أنزل القرآن مقتضى بفضل الإعراب وفرغ من تأليفها فى محرم سنة ٧١١ هجرية قال : رأيت أكثر من تعلق بعلم العربية من أول

الزمان معاقين على كتب الشيخ طاهر بن أحمد وكان أحسن مصنفاته فيها : المقدمة وشرحها له لأن كلامه في غيرها طويل خلا أن شرح المقدمة طريد عنه المقود بعيد عن الترتيب اللائق بالتقريب فرأيت بعد استخارة الله تعالى أن أملى عليها مذاكرة أصرفها فيها العناية للتقريب .. إلى آخره .

وكاتب هذا التعليق ومن علق على بعض حواشيها هو : عبده سنبل زاهر محمد .

وأول النسخة (ج) جاء به :

بسم الله الرحمن الرحيم — وفق الأنام ياذا الجلال والإكرام قال الشيخ الإمام أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى رحمه الله ، أما بعد حمد الله بجميع المحامد والتوكل عليه في المصادر والموارد والصلاة على نبيه خاتم النبيين وعلى أصحابه البررة المتقين . . وابتغاء مرضاة الله سبحانه ورحمته والله الموفق للصواب .

قال الشيخ رحمه الله : أما قولنا النحو علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله سبحـــــانه والكلام الفصيح فإن النحو له تفسيران لغوى وصناعى . . . » .

وفي آخر النسخة (ج) جاء به :

« ومن البدل قولهم يومئذ وحينئذ — الياء بدل من الهمزة لأنه يوم ركب معه إذ تركيب الشيء الواحد ، وكتبت متصلة بما قبلها وذلك على مذهب من بنى لأن المبنيين كالشيء الواحد ، فأما من أعرب فإنه يكتبها بهمزة منفصلة حملا على الأصل إذ لم يعرض مايوجب الاتصال ، تمت الجمل الهادية في شرح المقدمة الكافية ، والله المعين » .

(ب) وصف النسخة (م):

وعنوانها: شرح المقدمة النحوية.

وهى نسخة خطية محفوظة بمكتبة المتحف البريطانى بلندن تحت رقم ٣٩٥٥ / OR — وأودعت بالمتحف فى (١٣ يولية سنة ١٨٨٩ م) وعدد أوراقها: مائة وخمس وعشرون ورقة احتوت الأولى على بعض التمليكات والتعليقات التى كتبت بخط ردىء يصعب قراءته، والنسخة عارية تماما من العنوان، وكتب النص من الورقة الثانية حتى آخر ورقة فيها.

وحيث أننى استجلبت النسخة مصورة ومكبرة من المتحف البريطانى فإننا لانستطيع القطع بوصف مقاس ومسطرة الصفحات.

وتحتوى كل صفحة على واحد وعشرين سطرا فى المتوسط وتتراوح كلمات كل سطر بين أربع عشرة إلى سبع عشرة كلمة.

وتوجد على بعض الهوامش قليل من التعليقات تتمثل فى تصويب بعض أخطاء النسخ فى أغلب الأحيان.

وتاريخ نسخها: عشية الأربعاء فى اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٧١١ من الهجرة النبوية.

واسم الناسخ: شرف الدين إسماعيل بن عمر بن إسماعيل بن عمر بن إسماعيل ابن أحمد بن على الحلى.

ومكان النسخ: مدينه تعز المحروسة فى مسجد الوجيه الفساف باليمن.

والنسخة مكتوبة بخط نسخى جيد يسهل قراءته شأن خطوط القرن الثامن الهجرى. وخطؤها قليل جداً، ويكاد التحريف ينعدم بها، وهى فى هذا

المجال أفضل من النسخة (ج) لذا فقد ساهمت مساهمة جيدة فى مطابقتها على النسخة الأولى .

وتكاد النسخة تخلو من الضبط إلا فى بعض الكلمات التى تحتاج إلى ذلك .

وبالرغم من أن الكلمات معجمة ومنقوطة إلا أن بعض الكلمات تخلو من الإعجام ، ولا تثبت هذه النسخة الهمزات،وحينما كان يضبط كان يستعمل حركات الضبط المعروفة عندنا الآن ، وكثيراً ما أهمل الناسخ ألف المد شأن الخط القديم؛ فيكتب مثلا : تعالى (تعلى) ، الصلاة (الصلوة) ، الملائكة (المليكه). وهكذا .

وعن أول النسخة (م) : نقول إنه جاء مخالفا أول النسخة (ج) خلافا كبيرا ، لذلك أرجأنا ذكره إلى أول قسم التحقيق .

وجاء فى آخر النسخة :

« فأما من أعرب فإنه يكتبها بهمزة منفصلة حملا على الأصل إذا لم يعرض مايوجب الاتصال . . . والله أعلم وأحكم وأعظم .

وأضاف الناسخ : تم شرح المقدمة بحمد الله ومنه وعونه وحسن توفيقه والحمد لله شكراً ، وكان الفراغ من زبره(١) عشية العزوبة وقت غروب الشمس فى اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٧١١ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام كان ذلك بمدينة تعز المحروسة فى حافة الموبدية فى مسجد الوجيه السفساف رحمة الله عليه ، تقبل الله ذلك وجعله خالصا لوجهه مقربا من جنات النعيم بمنه وكرمه وحسن توفيقه .

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً . خط الفقيه العالم العلامة شرف الدين إسماعيل بن عمر بن إسماعيل بن عمر بن إسماعيل بن أحمد بن على الحلى رحمه الله رحمة الأبرار ووقاه عذاب النار فلقد توفى إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين فى شهر صفر سنة أربعين بعد ثمانمائة سنة الهجرة، ولقد كان نعم الرجل والله تعالى يتغمده برحمته وجميع أمواتنا وأموات المسلمين.

(١) القاموس المحيط (٢ : ٣٢) زبره بمعنى كتابته .

وكتب العبد الفقير إلى كرم الله سبحانه عبد الله بن محمد بن عمر بن إسماعيل الحلى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وجميع بنيه وبنى سائر أجداده فى مستقر رحمته أنه هو الغفور الرحيم الجواد الكريم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين حمداً دائما أبداً آمين » .

(ح) وصف النسخة (فا) :

وعنوانها : كتاب الجمل الهادية فى شرح المقدمة الكافية تأليف أبى الحسن ابن بابشاذ رحمه الله تعالى وهى نسخة خطية غير كاملة محفوظة بالمكتبة الرسولية بالفاتيكان تحت رقم ٣٤٢ وعدد أوراقها : مائتان واثنتان وستون لوحة .

واحتوت الورقة الأولى على العنوان الذى كتب بخط كبير جميل ، وكتب تحته بخط ردىء اسم أحد قارئى النسخة وهو الشيخ أحمد بن كامل ، واستغرق النص مائتان وإحدى وستين لوحة خلت من الهوامش أو التعليقات ، وقد لانستطيع القطع بمقاس النسخة حيث أننا استجلبناها مصورة « بالميكروفيلم » من الفاتيكان ثم قمنا بتكبيرها بعد ذلك .

وعدد أسطر كل صفحة ثلاثة عشر سطرا ، ومتوسط كلمات كل سطر حوالى ثمانى كلمات . وتاريخ نسخها : سنة ٩٩١ هجرية .

واسم الناسخ لم نجده مكتوبا بأول النسخة أو بآخرها ولكننا وجدناه مكتوبا فى آخر نسخة المقدمة الملحقة بالشرح ، وخطهما واحد ومتشابه مما يدل على أن ناسخهما واحد وهو حيدر بن أبى طالب .

ولم يحدد مكان نسخ هذه النسخة .

وقد كتبت هــــذه النسخة بخط نسخى جميل جداً وكبير واضح ومنقوط ومضبوط فى أغلبه وهى رائعة التنسيق جميلة الترتيب ، وتكاد تخلو من الخطأ أو التحريف .

ولكن المؤسف أن هذه النسخة غير كاملة بل تنتهى عند نهاية فصل الجر وبداية الحديث عن الفصل السابع وهو فصل الجزم حيث نسخت منه عشرة أسطر فقط. أى أن تلك النسخة تنقص أربعة فصول تقريباً وهى : معظم فصل الجزم ثم فصل العامل وفصل التابع وفصل الخط ، ويهمنا أن نقرر أن النسخة (فا) قريبة الاتفاق مع (م) ولكن بها كثيراً من العبارات الساقطة داخل النص كذلك ويبدو أن يداً عابثة قد امتدت إلى المخطوط فأحدثت به خللا فى الترتيب وضاعت منه أجزاء كثيرة واختلطت الفصول بعد فصل الاسم .

وورد فى أول هذه النسخة : « بسم الله الرحمن الرحيم . . قال الشيخ الإمام أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى : أما بعد حمد الله بجميع المحامد والتوكل عليه فى كل الموارد والصلاة على نبيه محمد خاتم النبيين وعلى آله البررة المتقين فإن للقاصد حرمة مأثورة ونية مشكورة مبرورة ، ولما كنت أيها الأخ أبو القاسم عبد الرحمن . . . » .

وتنتهى عند قوله — فى أول فصل الجزم :

« وجملة الأمر أن الجزم شيء خاص للأفعال كما أن الجر شيء خاص للأسماء ، ولما كان الجر بجار جالب له وجب أن يكون الجزم بجازم جالب له ، والجزم هو القطع والقطع قطعان ، قطع حركة وقطع حرف فقطع الحركة هو الأصل يكون فى الأفعال الصحيحة على » .

ملحوظة : ومما يجدر ذكره أنى وجدت فى نسخة الفاتيكان بين نسختى المقدمة والشرح عرضا غريبا لم نجده فى أية نسخة أخرى وهو يمثل « الفهرس »

وورد تحت اسم (شرح المحسبة) فى ثمانى لوحات تعرض جميع الموضوعات التى يتعرض لها المصنف فى النسخة ، وهى أشبه بفهرس تفصيلى للموضوعات، ولذلك فضلت نقلها كاملة لتعطى صورة واضحة عنها حيث لم ترد فى النسخة العمدة (ج) ولا فى غيرها . . . وجاء ذلك على شكل كتيب صغير له عنوان وهو :

شرحُ المحسبة فى النحو تصنيف الشيخ أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى رحمة الله عليه وجاء بها : « بسم الله الرحمن الرحيم —

ثبت الأبواب والفصول وهى :

فى معرفة النحو وله تفسيران صناعى ولغوى ، فصل الاسم : حد الاسم ، قسمة الأسماء ــ ثلاث : الأسماء الظاهرة ، المعربة من الأسماء عشرة — أول يدخله الرفع والنصب والجر والتنوين وهو الأسماء المتصرفة نوع ثان وهو باب الإضافة ، نوع ثالث باب مالا ينصرف نوع خامس وهو باب المنقوص، نوع سادس وهو باب المقصور ، نوع سابع المقصور بالألف المفردة ، نوع ثامن وهو باب الأسماء الستة المعتلة المضافة ، نوع تاسع وهو باب التثنية نوع عاشر وهو باب المذكر السالم ، الأسماء المضمرة خمسة أنواع ــ نوع أول : المضمر المنفصل المرفوع الموضع ، نوع ثان المضمر المرفوع المتصل ، نوع ثالث المضمر المنصوب المتصل ، نوع رابع المضمر المجرور ، نوع خامس المضمر المنصوب المنفصل وهو باب إياك وإياه ، فصل الأسماء لاظاهرة ولامضمرة وهو باب أسماء الإشارة مثل ذاوتا ، جملة المعارف خمسة ، المضمرات ، الأعلام ، أسماء الإشارة ، ماعرف بالألف واللام ، ما أضيف إلى واحد منها ، الأسماء المشكلة وهى أسماء الاستفهام التسعة ، الأسماء الموصولة ، الظروف المبنية — إذ وإذا وأمس، الآن، قط، أسماء الأفعال، جملة التنوينات خمسة ، خواص الأسماء أما من أوله ...

الفصل الثاني فصل الفعل : قسمة الأفعال ثلاثة ، ماض والفعل المستقبل والحال ، الأفعال كلها تتصرف إلا خمسة أفعال : فعـــل التعجب ونعم وبئس وعسى وليس .

الفصل الثالث فصل الحروف وقسمتة ثلاثة — حروف عاملة ، حروف غير عاملة ، حروف تعمل على صفة ولا تعمل على صفة أخرى ، الحروف العاملة ثمانية وثلاثون حرفا ، ستة تنصب الاسم وترفع الخبر ، تسعة تنصب الفعل المستقبل ، ثمانية عشر تجر الاسم ، وخمسة تجزم الفعل المستقبل ، وإنْ الشرطية وأخواتها . والحروف التي ليست بعاملة فنيف وأربعون حرفا : خمسة عشر حرف ابتداء ، عشرة حروف للعطف ، ستة للجواب ، أربعة للتحضيض ، أربعة للمضارعة ، أربعة للإعراب ، أربعة تختص بالفعل من أوله ، ثلاثة للاستفهام ، ثلاثة للتأنيث ، حرفان للتنفيس ، حرفان لتأكيد الفعل ، حرف للتنكير ، وحرف للتعريف ، حرف النسب . وأما الحروف التي تعمل على صفة ولا تعمل على أخرى فهي تسعة — سبعة للنداء ومنها ما ومنها لا .

الفصل الرابع فصل الرفع : جملة علامات الرفع أربع . .

الفصل الخامس فصل النصب : علامات النصب خمسة ، المفعول المطلق ، المفعول به ، المفعول فيه ، المفعول له ، المفعول معه ، الحال ، التمييز ، الاستثناء ، خبر كان وأخواتها ، اسم إن وأخواتها ، الفعل المستقبل إذا كان معه ناصب .

الفصل السادس فصل الجر : وله ثلاث علامات الكسرة والفتحة والياء ، جملة المجرورات ستة . .

الفصل السابع فصل الجزم : وله علامتان ، جملة المجزومات ثلاث . .

الفصل الثامن : فصل العامل : العوامل أربعة ، معنى وفعل وحرف واسم

وأما الأفعال فكل الأفعال عاملة وهى فى عملها على ثمانية أنواع : كان وأخواتها وحمل عليها طفق وكرب وأخواتها ، نوع ثان ظننت وأخواتها ، نوع ثالث باب أعطيت وكسوت ، نوع رابع وهو باب أعلم وأنبأ وأرى ، نوع خامس وهى أفعال الحواس نوع سادس ما يتعدى بواسطة حرف جر أو غيره ، نوع سابع ما بنى بما لم يسم فاعله ومنها نوع ثامن لا ينصرف بمستقبل ولا أمر ولا نهى هى ستة : نعم وبئس وحبذا وليس وعسى وفعل التعجب ، أما الأسماء العاملة فثلاثة أنواع منها نوع مشتق من فعـــل وهو خمسة أنواع : أسماء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهة والمصادر المقدرة بأن والفعل وأسماء الأفعال ، ومنها نوع يعمل بمعنى الفعل وليس بمشتق ، ومنها نوع يعمل عمل الحرف وهو الأسماء إضافة ملك أو إضافة جنس .

الفصل التاسع فى التابع : وهو التوابع الخمسة ، التأكيد ، النعت ، عطف البيان ، البدل ، النسق ، وهو حروف العطف .

الفصل العاشر فصل الخط : الممدود ، المقصور ، المهموز ، الوصل والقطع والحذف ، والزيادة . ومن الحذف حذف همزة لام التعريف . . وأما السابع فهو الزيادة ومنه كتابتهم مائة بألف فرقا بينها وبين منه . ، وأما البدل فمثل إبدال التنوين فى حال النصب ألفاً ، ومثل إبدال ياء التأنيث ، والبدل على طريق الشذوذ ، ومن البدل قولهم : يومئذ وحينئذ فهذا آخر أبواب هذا الكتاب .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله الطاهرين .

وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

(د) وصف النسخة (ك) :

وعنوانها : الهادى فى شرح المقدمة ، فى علم النحو للعالم الجليـــــل طاهر ابن (باب شاذ[1]) النحوى رحمه الله .

وهى نسخة خطية بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم ٢٧٢/نحو أودعتها الدار بخزائنها وأودعت للباحثين صورة منها « بالميكروفيلم » وقد صورتها أنا « بالميكروفيلم » كذلك ثم قمت بتكبيرها .

وعدد أوراقها : مائتان وعشر ورقات كتبت من الوجهين أى أن عدد صفحاتها أربعمائة وعشرون صفحة .

وقد احتل العنوان الصفحة الأولى . واستغرق النص أربعمائة وتسع عشرة صفحة . وكتب بالصفحة الأولى : من كتب يحيى بن حجى الشافعى سنة ٨٣٨ هجرية رقم ٤٩٧٥ ومسطرة كل ورقة : ٢٢ × ١٧ سم ، وبكل صفحة اثنا عشر سطراً ومتوسط كلمات كل سطر حوالى إحدى عشرة كلمة .

وخطها نسخى جميل منقوط مضبوط فى معظمه ، ويمكن قراءته بسهولة وتخلو الهوامش من أى تعليق .

وخطها حديث فيبدو أنها نسخت من نسخة أخرى حيث ورد فى نهايتها إن تاريخ نسخها : شوال سنة ٣٠٦ هجرية .

ومكان نسخها : مدينة حلب .

واسم الناسخ غير مدون بالنسخة .

والنسخة قليلة الخطأ أو التحريف مما جعل لها دوراً أصيلا فى المطابقة وتحقيق النص . ونلاحظ على هذه النسخة أن بها بعض الثقوب وخصوصا فى الأوراق

---

(١) هكذا رسمتها النسخة (ك)

الثلاثة الأولى التي أكلتها الأرضة .. ومجلدة بورق مقوى ، كتبت عناوين الفصول فيها بخط كبير أحمر ، كما نلاحظ أن النسخة كانت تامة في معظمها في الفصول التسعة الأولى جميعها ، ولكنه قد سقط منها معظم الفصل العاشر وهو فصل الخط والجزء الناقص بالتحديد يبدأ من نهاية الفصل التاسع (. . . أعانك الله ووفقك للصواب) ولم يبدأ بعد ذلك بذكر الفصل العاشر مطلقا لامقدمته ولافصل الممدود ولافصل المقصور ولا المهموز ولاالقطع والوصل ولاالحذف ولا الزيادة ولا معظم البدل . . أى أن النسخة (ك) هذه سقط منها فصل الخط جميعه اللهم إلا آخر ثلاثة أسطر فيه .

وورد بأول النسخة :

« بسم الله الرحمن الرحيم — رب أعن ، قال الشيخ الجليل طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى رحمه الله : أما بعد حمد الله بجميع المحامد والتوكل عليه فى كل المصادر والموارد ، والصلاة على نبيه محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه البررة المتقين والسلام عليهم أجمعين . . فإن المقصد حرمة مأثورة ونية مشكورة مبرورة ، ولما كنت أيها الأخ أبا القاسم عبد الرحمن بن أبى بكر بن سعيد أدام الله توفيقك وإرشادك وجمل من السعادة فى الدين والدنيا والعلم هذاك وإمدادك قد أطلعتنى على حالك ، وأنك لم تسافر من الاسكندرية مع قرب توجه سفرك إلى مقرك إلا لتحصل ما أمكن من هذا العلم ، وأن أقرب ذلك قراءة المقدمة الموسومة بهذا الشأن ، وإيثارك تعليق شرحها مختصراً اقتنالا من ذلك بالفه إلى حين عودك بمشيئة الله وعونه ، وتشرع فى التبحر لهذا الشأن بحسب ما يؤديك إليه اجتهادك ، والله معينك فى ذلك وموفقك ، أجبت سؤالك إيجاب مثلى لمثلك فى مقصدك وابتغاء لمرضاة الله ورحمته ، والله الموفق للصواب .

فصل — قال الشيخ رحمه الله : النحو علم مستنبط ...

وورد بآخر النسخة مايلى :

« فأما من أعرب فإنه يكتبها بهمزة منفصلة حملا على الأصل إذا لم يعرض مايوجب الاتصال . . تم كتاب الهادى فى شرح المقدمة ، والحمد لله على نعمه ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى وعلى آله وأصحابه وسلم » .

(هـ) وصف النسخة الثانية لدار الكتب (برقم ٢٨١ نحو) :

وعنوانها : كتاب الجمل الهادية فى شرح المقدمة الكافية — إملاء الشيخ أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى رحمه الله تعالى والمسلمين أجمعين آمين .

وكتب أسفل العنوان عبارة : هذا كتاب نفيس لم يؤلف مثله فى علم العربية . . . وهى نسخة خطية ثانية محفوظة بخزائن دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم ٢٨١ / نحو .

وقد أتيحت لى فرصة الاطلاع عليها منذ أكثر من عامين فتعرفت على أوصافها وفوجئت عند طلبى لتصويرها مؤخرا بأنها تم تخزينها كمثيلاتها من المخطوطات التى صورتها الدار « بالميكروفيلم » كما أن الدار لم تعثر لى حتى على نسخة « الميكروفيلم » لتصويرها لحسابى كما طلبت . وهذه النسخة تتكون من جزءين فى كتاب واحد الأول منها المقدمة النحوية ، والآخر لشرح المقدمة وقد تعرضت فى حديثى عن المقدمة فى الباب الثانى ، ونتناول (شرح المقدمة) بالحديث فى هذا الباب .

وعدد أوراقها : مائة وورقتان أى مائتان وأربع صفحات منها صفحة العنوان والباقى للنص . . . ومسطرة كل ورقة : ١٧ × ١٣ سم .

ويوجد بكل صفحة سبعة عشر سطراً، ومتوسط كلمات كل سطر أربع عشرة كلمة تقريباً، ولا توجد تعليقات على هوامشها، كما اختلطت عناوين الفصل بالموضوعات وإن تميزت عنها قليلاً فى الخط.

وتاريخ النسخ: (١٨ من المحرم سنة ٧٥٣ هجرية) — وهذا التاريخ قد أخذناه من آخر المقدمة حيث لم يشر إليه فى آخر الشرح.

واسم الناسخ أبو بكر محمد بن إلياس الخطيب بعين الزيتون، ويلاحظ أن أوراق النسخة قديمة جداً أكلت الأرضة أجزاء قليلة منها فأحدثت بها بعض الثقوب كما يلاحظ أن خطها صغير متزاحم غير مضبوط ولكنه معجم تسهل قراءته نسبياً، كما أن بها بعض الأخطاء والتحريف، وإن كان ذلك غير كثير.

وجاء بأول النسخة:

« بسم الله الرحمن الرحيم — عونك يا كريم.. أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى بكر بن أبى سعيد القرشى المقرىء «أملى علىّ الشيخ الجليل أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى بمصر بالجامع العتيق وأنا أكتب عنه مبتدئاً:

بسم الله الرحمن الرحيم — أما بعد حمد الله بجميع المحامد والتوكل عليه فى كل المصادر والموارد والصلاة على خاتم النبيين.. والله الموفق للصواب، قال الشيخ رحمه الله: أما قولنا النحو علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله تعالى والكلام الفصيح قال: النحو له تفسيران لغوى وصناعى...»

وجاء بآخر النسخة:

«.. حملا على الأصل إذا لم يعرض ما يوجب الاتصال فافهم ذلك وقس عليه تمت بحمد الله وحسن توفيقه، والصلاة على محمد عبده وآله وسلم تسليما

كثيراً وحسبى الله ونعم الوكيل . . غفر الله لكاتبها وقارئها والناظر فيها ولجميع المسلمين يا رب العالمين .

(و) وصف النسخة الثالثة لدار الكتب (برقم ٦٧ / نحو / ش) .

وعنوانها : شرح المقدمة النحوية – تأليف طاهر بن أحمد بن بابشاذ ابن داود بن سليمان النحوى المصرى المتوفى سنة ٤٦٩ هجرية .

وهى نسخة خطية ضمن مجموعة المخطوطات المحفوظة بمخازن القلعة بالقاهرة تحت رقم ٦٧ / نحو / ش .

وهذه المجموعة لا يسمح لأحد بالاطلاع عليها منذ أكثر من عامين(١)، وقد علمت برقمها وبعض بياناتها من خلال فهرس المخطوطات المصورة – الجزء الأول – بتصنيف فؤاد سيد (ص ٢٩١) .

والنسخة كتبت سنة ٦٨٣ هجرية .

وعدد أوراقها : ١٢٣ ورقة .

ومسطرة كل ورقة ١٧ × ٢٤ سم .

وقد أشار فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب بالجزء الثانى إلى بعض المعلومات التى ذكرناها عن هذه النسخة ، وذكرت أن هناك نسخة أخرى تحمل رقم (١٥٤٠) ولكننا لم نجد حولها أى معلومات ، ولم نجد لها وجودا بين مخطوطات الدار .

---

(١) أى منذ سنة ١٩٧١ م تقريباً .

الفصل الثاني

« توثيق الكتاب »

توثيق الكتاب

ويهمنا فى هذا المجال أن نوثق كتابنا « شرح المقدمة النحوية » لنؤكد أنه ضمن كتب ابن بابشاذ بل أهمها ونؤكد أن ما جاء به منسوب لأبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ وليس لأحد آخر، ونعرض فى هذا الموضوع لثلاث نقط .

(ا) نماذج نقلتها كتب النحو بالنص من كتاب شرح المقدمة النحوية .

(ب) نماذج نقلتها هذه الكتب بالفكرة من الكتاب نفسه .

(ج) ترتيب النسخ حسب تاريخ نسخ كل منها وتوضيح سبب اختيارنا للنسخة العمدة فى التحقيق .

* * *

(ا) نماذج نقلت بالنص .

من خلال استقصائنا وبحثنا فى كتب النحو التى اطلعنا عليها لاستخراج الآراء التى أخذوها عن ابن بابشاذ ، وحاولنا مطابقة ما وجدناه منها بما جاء فى (شرح المقدمة النحوية) ، وجدنا أن هناك بعض الآراء التى نقلت نماذجها بالنص .

وهذه الكتب التى اطلعنا عليها كما ذكرنا فى بيان آرائه النحوية فى الباب الثانى — خمسة :

(ا) حاشية الصبان على شرح الأشمونى وبه شواهد العينى (أربعة أجزاء)

(ب) الدرر اللوامع على همع الهوامع (جزءان) .

(ج) مغنى اللبيب وبه حاشية الشيخ الأمير (جزءان) .
(د) شرح ابن عقيل (نسختان — أربعة أجزاء) .
(هـ) شرح التصريح على التوضيح ومعه حاشية الشيخ العليمى (جزءان) .
(د) شرح شافية ابن الحاجب للرضى (محقق — أربعة أجزاء) .
(ز) المفصل — للزمخشرى

ولقد وجدنا له — كما أسلفنا فى الباب الثانى أربع مسائل فى أربعة مواضع من ثلاث الكتب منقولة عن شرح المقدمة النحوية بعضها منقول بنصه وبعضها منقول بمعناه . من الآراء التسعة التى تحدثنا عنها من قبـــل والتى وردت فى عشرين موضعاً بتلك المصادر ، وقد نقلوها عن تصانيفه الأخرى .

أما الآراء التى نقلت بالنص فهى :

١ — ما ذكره الصبان(١) فى حاشيته عند الكلام عن (هلاّ وألاّ وألا)قال: يليها الفعل أى المضارع قال الفارضى قال سيبويه : إنها أى الأدوات المذكورة كلها للتحضيض سواء وليها ماض أو مضارع ، وأبو الحسن بن بابشاذ: « إن وليهن المستقبل كن تحضيضا للفاعل على الفعل ليفعله نحو : هلا تضرب اللص ، وإن وليهن الماضى كن توبيخاً لا تحضيضا لامتناع طلب الماضى نحو: لولا ضربت اللص أى لأى شىء ما ضربته » .

والمسألة منقولة بالنص تقريباً عن (شرح المقدمة النحوية) فى حديثه عن حروف التحضيض ضمن كلامه عن الحروف غير العامـــلة فقال : « ومنها أربعة للتحضيض وهى لولا ولوما وألا — إذا وليهن الفعل المستقبل كن تحضيضاً وإذا وليهن الماضى كن توبيخاً » .

(١) حاشية الصبان على الأشمونى ٤ / ٥٠ .

٢ — والمسألة الثانية نقلها (شرح التصريح[1] بعد قوله : وقال أبو حيان وتسمى الحال الجامدة الموصوفة حالا موطئة لأنها ذكرت توطئة للنعت بالمشتق . وقال ابن بابشاذ فى :

« وهذا مصدق لسانا عربيا[2] ، لسانا : حال ، لأنه نعت اللسان بعربى والصفة والموصوف كالشيء الواحد ،صارت الحال مشبهة بالمشتق وصار عربيا هو الموطئة لكون اللسان حالا ، وليس حقيقة اللسان أن يكون جامداً لولا ما ذكر من الصفة .

والمسألة منقولة بالنص عن (شرح المقدمة النحوية) فى أثناء الحديث عن الحال حيث قال : « وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا ، فهذا : مبتدأ ، وكتاب : خبره ، ومصدق : نعته ، ولسانا : حال فى أحد الوجهين لأنك لما نعت اللسان بعربى والصفة والموصوف كالشيء الواحد ـ صارت الحال مشبهة بالمشتق ، وصار عربيا هو الموطيء لكون اللسان حالا وليس حقيقة اللسان أن يكون جامداً لولا ما ذكر من الصفة » .

* * *

(ب) نماذج نقلت بالفكرة :

ذكرنا فى الفقرة السابقة (أ) مسألتين نقلتهما كتب النحو المذكورة عن (شرح المقدمة النحوية) بالنص . . وبقى من الآراء الأربعة التى أشرنا إلى أن تلك المصادر نقلتها عن / شرح المقدمة لابن بابشاذ — بقى منها مسألتان نعرضهما فيما يلى :

---

(١) شرح التصريح ١ / ٣٧١

(٢) سورة الأحقاف / ١٢

المسألة الأولى فى هذه النقطة هى ما نقله الشيخ العليمى فى حاشيته معلقاً على ابن هشام(١) حين قال : والفعل ثلاثة أنواع ذكر : « وقيل إن الأصل التعدى بالجار لأن الزيادة لا يقدم عليها إلا بدليل قاله ابن بابشاذ » .

ومن خلال البحث تبين أن صاحب الحاشية قد استفاد فى هذه المسألة — بفكرتها — برأى لصاحبنا فى شرح المقدمة النحوية فى الحديث عما يتعدى بواسطة من حرف جر فقال : « ومنها نوع سادس يتعدى بواسطة من حرف جر أو غيره مثل : مررتُ بزيد ، ونزلتُ على عمرو — فهذا مفعول مجرور فى لفظه منصوب فى معناه وتقديره ، يدلك على ذلك أنه يجوز أن تعطف عليه بالمنصوب والمجرور ، ويلحق بهذا ما يتعدى بنفسه وتارة بحرف جر مثل : شكرت زيداً وشكرت له . . . . الخ » .

أما المسألة الثانية فى هذا المجال فقد نقلها شرح التصريح(٢) فى باب عطف النسق حين قال : من حروف العطف ما ينفى عما بعده ما ثبت لما قبله وهو (لا) عند النحاة الجميع نحو : جاء زيد لا عمرو (وليس عند البغداديين كما نقله ابن عصفور وأبو جعفر النحاس وابن بابشاذ عن الكوفيين . . . » .

وبالبحث تبين أن هذه المسألة قد نقلت بفكرتها وليس بنصها من قول ابن بابشاذ فى (شرح المقدمة النحوية) وهو يبسط الحديث فى أحرف العطف. « ولا — معناها إخراج الثانى مما يدخل فيه الأول ، ولا يعطف بها إلا بعد موجب مثل : قام زيد لا عمرو » .

ومن خلال عرض المسائل الأربع السابقة يتضح لنا أن الكتاب المحقق هو

---

(١) شرح التصريح ١ / ٣٠٨
(٢) شرح التصريح ٢ / ١٣٥

لكتاب ابن بابشاذ المشهور : (شرح المقدمة النحوية) ، ويتأكد هذا التوثيق — فضلا عن هذه الآراء التى عرضناها منقولة عنه — يتأكد من خلال النسخ المتعددة التى عثرنا عليها فى مكتبات مختلفة ،وطابقناها وتأكدمن خلال الاتفاق بينها أصالة الكتاب ، كما أكد ذلك الكتب المختلفة التى ترجمت وأرخت لابن بابشاذ وكتب الفهارس التى تحدثت عن المخطوط وأوردت منه بعض عباراته .

وسوف نعرض لترتيب تلك النسخ زمنياً موضحين سبب اختيارنا للنسخة العمدة (ج) للتحقيق فى النقطة الآتية .

(جـ) ترتيب نسخ شرح المقدمة النحوية زمنياً :

بالبحث والتنقيب فى مختلف كتب الفهارس « والبيبليوجرافيا » توصلنا إلى أن لكتاب (شرح المقدمة النحوية لابن بابشاذ) ست نسخ مخطوطة عثرنا منها على أربع شاركت فى التحقيق ومطابقة النص .

ويمكننا ترتيب النسخ الست وفقاً لتاريخ نسخ كل منها على النحو الآتى :

١ — النسخة الأولى : النسخة (ك) وهى نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وقد نسخت عام ٦٠٣ هجرية .

٢ — النسخة الثانية : النسخة (ج) وهى نسخة الجامعة العربية بالقاهرة ، وقد نسخت عام ٦٥٣ هجرية .

٣ — النسخة الثالثة : وهى النسخة المحفوظة بمخازن القلعة التابعة لدار الكتب المصرية بالقاهرة ، وقد نسخت عام ٦٨٣ هجرية (ورقمها ٦٧ / نحو ش).

٤ — النسخة الرابعة : النسخة (م) وهى نسخة المتحف البريطانى بلندن، وقد نسخت عام ٧١١ هجرية .

٥ ـ النسخة الخامسة : وهى النسخة الثانية الموجودة بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، تحت رقم ٢٨١ / نحو ، وقد نسخت عام ٧٥٣ هجرية .

٦ ـ النسخة السادسة : النسخة (فا) وهى نسخة مكتبة الفاتيكان بإيطاليا وقد نسخت عام ٩٩١ هجرية .

ووفقاً لهذا الترتيب فكان يجب اتخاذ النسخة الأولى (ك) أصلا وعمدة التحقيق نظراً لسبقها الزمنى فى تاريخ النسخ ، ولكننا عدلنا عنها إلى النسخة الثانية (ج) وهى التى انتسخت بعد الأولى بحوالى خمسين عاماً نظراً لاعتبارات أهمها أن النسخة (ج) أملاها ابن بابشاذ مصنف الكتاب نفسه أى أنها انتسخت عن نسخة يبدو أنها أصليه ، واعتبار آخر هو أن النسخة (ج) كاملة تقريباً وأكمل من النسخ الأخرى بينما النسخة (ك) تنقص من آخرها الفصل الأخير كله — وهو فصل الخط بكل أقسامه اللهم إلا أسطراً معدودة فى نهاية ذلك الفصل .. وقد أشرت إلى هذا النقص فى أثناء وصفى للمخطوطات .

وكان هذا النقص هو السبب الجوهرى مضافاً إلى السبب الأولى فى اعتماد النسخة (ج) عمدة وأصلا تعتمد عليه فى التحقيق ونطابق عليه النسخ الثلاث الأخرى (ك ، م ، فا) .

الفصل الثالث

(منهج المؤلف وتحليل موضوعى لكتابه)

منهج المؤلف وتحليل موضوعى لكتابه

يعتبر هذا الكتاب الذى قمنا بتحقيقه من أهم تصانيف ابن بابشاذ ، بل ويعتبر من أبرز الكتب التى صنفت فى علم النحو بعد القرن الثالث الهجرى .

وقد عرض أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ لجميع موضوعات النحو حسب الأبواب أو الفصول العشرة التى قسم إليها علم النحو. نقول إنه قد عرض هذه الموضوعات بطريقة لم تألفها عند سيبويه الذى أغرم به ابن بابشاذ وتتلمذ على كتابه ، كما أننا إذا أردنا التعليق على هذه الطريقة وذلك المنهج فى التأليف فيحسن بنا أن نتعرض خلال هذا الفصل لمقارنة منهج ابن بابشاذ فى « شرح المقدمة النحوية » بمنهج أحد العلماء المتقدمين الذين سبقوه ، ومنهج بعض المتأخرين الذين جاءوا بعده ، كى يتضح منهجه مقارنا بمن سبقه أو خلفه .

ولعل من الأنسب أن نختار من كتب المتقدمين ، كتاب سيبويه ، ونختار من كتب المتأخرين المفصل للزمخشرى والتسهيل لابن مالك .

وسوف يشمل هذا الموضوع حديثاً فى جزئيات عديدة هى :

(ا) التجديد فى منهج التأليف .

(ب) التيسير والوضوح فى عرض الموضوعات .

(ج) دقة التقسيم والتسلسل المنطقى .

(د) استقصاء الحديث .

(هـ) الإجمال بعد التفصيل .

(و) مزج النحو باللغة والتصريف .

(ز) الاحتجاج بالقرآن الكريم وقراءاته .

(ح) الاحتجاج بالحديث الشريف .

(ط) الاحتجاج بالشعر وأقوال العرب .

(ى) الاصطلاحات عند ابن بابشاذ .

(ك) موقفه من القياس والسماع .

(ل) العامل عند أبى الحسن بن بابشاذ .

(م) عمن أخذ وبمن استفاد .

وسوف تقوم بعلاج هذه النقاط بالترتيب وبشىء من التفصيل على النحو الآتى :

* * *

(ا) التجديد فى منهج التأليف :

ويمكننا أن نلمس هذا الاتجاه التجديدى بوضوح إذا قارنا كتاب صاحبنا « شرح المقدمة النحوية » بكتاب سيبويه أهم كتب النحو التى سبقت ابن بابشاذ ، ونقارنه كذلك بطريقتى الزمخشرى فى المفصل وابن مالك فى « التسهيل » وهما من الكتب الهامة التى صنفت بعد ابن بابشاذ .

فنجد أن سيبويه اهتم واعتمد على تقسيم النحو إلى أبواب . ومثال ذلك ماجاء فى تقسيم الجزء الأول(١) :

باب علم ما الكلم من العربية ، باب الفاعل الذى لم يتعده فعله

باب الفاعل الذى تعداه فعله إلى مفعول واثنين وثلاثة ،

باب مايعمل فيه الفعل فينتصب ، باب المصادر والصفة المشبهة ،

باب وقوع الأسماء ظروفا ، باب الإضمار والإظهار ،

(١) فهارس كتاب سيبويه (طبعة بيروت) الجزء الأول .

باب النصب ، باب الجر ،
باب الابتداء ، باب النداء ،
باب الندبة ، باب الترخيم ،
باب الاستثناء ، باب الإضمار ،
باب الشرط .

وهكذا عشرات الأبواب التى عالج بها سيبويه علم النحو بكل مسائله . هذا — كما رأينا — أحد نماذج المتقدمين ، ونعرض نموذجا لأحد المتأخرين وهو ابن مالك فى « التسهيل » ، أو ما يسمى بتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد . فنجد أن منهج ابن مالك — وهو من علماء القرن السابع الهجرى كما نعلم — كان منهجه فى ترتيب مسائل النحو منهجا دراسيا تعليميا يعتمد على المناسبة والاستطراد وارتباط اللاحق بالسابق متأثراً بشيخه ابن معطى ومثال ذلك نستوضحه من خلال فهارس التسهيل [١] الذى جاء ترتيبه وتقسيمه لبعض ما جاء فى أول كتابه كما يأتى :

باب شرح الكلمة الكلام ، باب إعراب الصحيح الآخر
باب إعراب المعتل الآخر ، باب إعراب المثنى والجمع
باب كيفية التثنية وجمع التصحيح ، باب المعرفة والنكرة
باب المضمر ، باب الاسم العلم
، باب اسم الإشارة
باب الموصول ، باب المبتدأ
باب المعرف بالأداة ،
باب الأفعال الرافعة للاسم الناصبة للخبر ،
باب أفعال المقاربة .

---

(١) تسهيل الفوائد لابن مالك (تحقيق محمد كامل بركات / القاهرة) ص ٣٤٦ .

باب الأحرف الناصبة للاسم الرافعة للخبر .

باب لا العاملة عمل إن .

باب الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر .

باب الفاعل ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ باب النائب عن الفاعل

باب اشتغال العامل ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ باب تعدى الفعل ولزومه ...

وهكذا عشرات الأبواب التى عالج فيها ابن مالك علم النحو بجميع مسائله وموضوعاته .

وثمة نموذج آخر نضر به من خلال أحد كتب المتأخرين المشهورين أكثر من ابن بابشاذ وهو كتاب الزمخشرى (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ) الذى وقف عند تقسيمه للنحو إلى أقسام وفصول ، وليس إلى أبواب كما فعل سيبويه ، وكان تقسيم الزمخشرى فى كتابه المشهور المسمى بالمفصل فى علم العربية يعتبر تقسيما عاما دون اهتمام بتبويب أو تفصيل . . ومثال ذلك ماجاء فى فهارس هذا المصدر من أن الزمخشرى قد قسم كتابه إلى أربعة أقسام فقط .

القسم الأول: قسم الأسماء.

القسم الثانى : قسم الأفعال .

القسم الثالث : قسم الحروف .

القسم الرابع : قسم المشترك .

ولعلنا نلاحظ أن الزمخشرى قد اتبع نهجا جديداً فى تقسيمه للمفصل ، هذا المصدر النحوى المشهور — وهو أنه قسمه تقسيماً عاما فى تلك الأقسام الأربعة وقسم كلا منها إلى مجموعة من الفصول . . ونرجح أن يكون فى هذا الأمر متأثراً وحذاً حذو ابن بابشاذ الذى يعتبر سابقاً له بسنوات قليلة

وخصوصاً أن ابن بابشاذ بدأ (شرح المقدمة النحوية) بتلك الفصول : الاسم ثم الفعل ثم الحرف . .

ولكن الزمخشري يختلف عنه في أنه جعل أبواب وسائل الإعراب ترد ضمنا في هذه الأمور ففي الحروف مثلا تحدث عن النصب والنواصب والجر والمجرورات والجزم والمجزومات ، وفي قسم الأفعـــال والأسماء بين الرفع والمرفوعات وبعض المنصوبات وبعض المجرورات وغيرها ، كما أن كل اسم أو فعل أو حرف كان له تأثير في آخر سمى عاملا ، كما أدخل التوابع في فصل الاسم ، وتناول ذلك كله دون إفراد فصول مستقلة لهذه الأمور كما فعل سابقه ابن بابشاذ فيبدو — كما رجحنا — أنه تأثر بصاحبنا ولكنه اتبع نهجه العام ، ولم يسر على نهجه تفصيلا . . ونورد بعض النماذج من تصنيف فهرس المفصل: فمن القسم الأول — الأسماء : فصل معنى الكلمة والكلام ، والاسم المعرب ، وما يمتنع من الصرف وإعراب الاسم ، والمرفوعات ، والمبتدأ والخبر ، والمنصوبات والمجرورات والتوابع ، ومن القسم الثاني — الأفعال : الفعل الماضي والمضارع والمتعدى وغير المتعدى ، وأفعال القلوب ، والأفعال الناقصة ، وأفعال المقاربة . ومن القسم الثالث — الحروف : حروف الإضافة ، والفرق بين أن وإن ، وحروف العطف ، وحروف النفي ، وحروف النداء ، وحروف الصلة ، وحروف التحضيض و. ومن القسم الرابع — المشترك : الإمالة ، والوقف ، والقسم ، وإبدال الحروف ، والاعتلال . . . إلى آخر الكتاب .

هذه هي طريقة العلماء والنحاة والسابقين واللاحقين في منهج تأليف كل منهم فما المنهج الذي اتبعه صاحبنا إذن ؟ وهل هو موافق لمنهج من سبقوه أم هو مجدد بعيد عن طرائقهم في المنهج والتقسيم ؟ وهل سار ابن مالك والزمخشري على مذهبه أم أن منهج ابن بابشاذ كان منهجا فريداً في نوعه ؟

ونعرض ، الآن منهج ابن بابشاذ فى تأليف وتقسيم كتابه « شرح المقدمة النحوية » كما يتضح من فهارس تحقيقنا حيث وجدنا أبا الحسن بن بابشاذ يقسم النحو فى كتابه إلى عشرة فصول بعد تقديم أو تمهيـــد بسيط . . وهذه الفصول هى

فصل الاسم ، فصل الفعل ،

فصل الحرف ، فصل الرفع ،

فصل النصب ، فصل الجر ،

فصل الجزم فصل ال[illegible]

فصل التابع ، فصل الخط ،

وهو — كما نرى — تقسيم نادر ، ومنهج جديد فى التأليف يختلف تماما عما سبق لنا عرضه . فنجد ابن بابشاذ قد مهد لكتابه — شرح المقدمة النحوية بتمهيد بسيط يوجه فيه الحديث والخطاب إلى أحـد طلابه الذى أملى عليه الكتاب وهو : أبو القاسم عبد الرحمن بن بكر بن أبى سعيد . وبعد التمهيد عرف بعلم النحو تعريفاً عاما ، ثم بين العلة من تقسيمه للكتاب على هذا النحو أو النمط الجديد وبين سر ترتيبه للفصول العشرة بهذا الترتيب حيث قال :

« والأهم منها معرفة عشرة أشياء فلأن مـدار الكلام على هذه العشرة لاينفك كلام من جملتها أو بعضها فالحاجة داعية إلى معرفتها . . وأما قولنا : اسم وفعل وحرف فإن هـذه العلامة هى الأصول الأول التى لايستغنى عن تقدمة معرفتها لأنها أنفس الكلام وما بعدها كلام على عوارضها الداخلة عليها ولذلك اتفقت كتب متقدمى النحويين على البداية بها » .

ثم ذكر سر هذا الترتيب فقال : « فإنما رتب هذا الترتيب لقوة الاسم وتوسط حال الفعل ومن تأخر الحرف ، ثم قدم الرفع على النصب لأنه من حركات العمد ، ثم قدم الجر على الجزم لأن الجر من إعراب ماهو مستحق الإعراب وهو الاسم ، ثم قدم العامل على التابع لأن العامل لابد منه والتابع منه بد — لأن التابع يأتى محمولا على غيره ، والعامل يأتى لأمر يحتاج إليه فى نفسه ، ثم قدم التابع على الخط لأن التابع لاحق المتبوع فلحق بما تقدمه ولم يبق إلا جعل الخط عاشراً » .

وبعد ذلك قسم فصل الاسم إلى ثلاثة أقسام : الأسماء الظاهرة المعربة والأسماء المضمرة ، والأسماء التى لاظاهرة ولامضمرة ، ثم بين خواص الأسماء .

وفى فصل الفعل قسمه إلى حديث عن الماضى والحال وما يتصرف منها ، ومالا يتصرف ، ثم بين خواص الأفعال .

وفى فصل الحروف قسمه إلى حديث عن الحروف العاملة فالحروف غير العاملة ثم الحروف التى تعمل على صفة ولا تعمل على أخرى .

وفى فصل الرفع بين علاماته ، ثم جملة المرفوعات ، والبناء على الضم .

وفى فصل النصب بين علاماته كذلك ، ثم وضح جملة المنصوبات ، ثم تناول البناء على الفتح .

أما فى فصل الجر ففسر معناه ، ووضح علاماته ، ووضح بعدها جملة المجرورات ، ثم المبنى على الكسر .

وفى الفصل السابع أى فصل الجزم بين علاماته ثم جملة المجزومات ، وبين بعدها المبنى على السكون .

وبعدها عرض فى الفصل الثامن: العامل فعرفه ، ثم تكلم عن العامل المعنوى وصفاته ، ثم عالج العوامل اللفظية من الأفعال والحروف والأسماء العاملة .

وفى الفصل التاسع تناول التوابع ، وتكلم عن كل تابع على حدة وهى: التأكيد والنعت وعطف البيان والبدل والنسق .

وجاء الفصل الأخير ليعالج فيه ابن بابشاذ موضوع الخط ، ووضح ... اهتمامه به ، وقسمه إلى حديث عن طريقة كتابة الممدود فالمقصور فالمهموز ، ثم القطع والوصل فالحذف فالزيادة ثم البدل .

أى أن ابن بابشاذ قد عرض فى القسم الأكبر من الكتاب للكلام وأقسامه من اسم وفعل وحرف ، كما عرض فى القسم الذى يليه لموضوع الإعراب شاملا للرفع والنصب والجر والجزم ، وختم الكتاب بما يكمل هذا كله من العوامل والتوابع والخط أو طريقة الكتابة .

وهى طريقة منهجية وموضوعية لها قيمتها عند الباحثين ، وهو أسلوب أو منهج يرقى ويرتفع على مستوى الأسلوب التعليمى الذى انتهجه ابن مالك مثلا فى كتابه « تسهيل الفوائد » كما أنه يمتاز عن منهج أستاذه سيبويه فى الكتاب ، يمتاز عنه بالعموم الذى يميل إليه أكثر من ميله إلى التفريعات والخصوصيات حيث ركز ابن بابشاذ كما أشرت منذ ... يل على ركائز ثلاث : أقسام الكلام والإعراب وما يتبع ذلك من عامل وتابع وطريقة خط ورسم ، ثم أنطلق من تلك الركائز إلى فصول عامة عالج فيها تلك الفصول بجانب من الشمول به قليل من التفصيل رغبة منه فى التيسير وعلاج النحو كله فى هذا الكتاب .

بقيت نقطة أريد توضيحها فى المنهج الذى اتبعه ابن بابشاذ فى تأليف كتابه

وهى أنه كان يأتى دائماً فى أول كل فصل أو مسـألة من المسائل يذكر عبارة المقدمة التى يعتبر هذا الـكتاب المحقق شرحاً لها ، فاسمه — كاسماه صاحبه — « شرح القدمة النحوية » وكان يبدأ دائماً بقوله : أما قولنا كذا . . فـكذا . . فيذكر عبارة المقدمة(١) بعد أما قولنـا ، ثم يتبعها بالشرح والتعليق ، وذكر الأمثلة والشواهد التى توضح رأيه الذى أوجزه فى « المقدمة » .

ولتوضيح هذا الأمر نورد بعض النماذج من كتابنا المحقق « شرح المقدمة النحوية » :

١ — قال أبو الحسن طاهر فى فصل الاسم (المثنى من الأسماء) :

(عبارة المقدمة) وأما قولنا : ومنها نوع رفعه بالألف ونصبه وجره بالياء المفتوح ماقبلها وهو كل اسم مثنى مثل الرجلين والمرأتين .

(عبارة الشرح) . . فإن هذا هو النوع التاسع ، والعلة فى إعراب التثنية بالحرف أن المثنى أكثر من الواحد فجعل إعرابه بشىء أكثر من إعراب الواحد ولا أكثر من الحركة إلا الحرف ، والعلة فى اختصار المرفوع بالألف دون الواو التى هى علامة الرفع أنهم لو أعربوا المثنى فى الرفـع بالواو لالتبس بالجمع ولو أبقوا الفتحة قبل الواو فى التثنية كما أبقوا الضمة قبل الواو فى الجمع لالتبس بجمع المقصور . . ألخ .

٢ — وقال كذلك فى آخر فصل الحروف (حرف لا الناصب للنكرة) :

(عبارة المقدمة) وأما قولنا : ومنهـا — لا — وهى تنصب النـكرة مادامت تليها ، ومادام النفى مستغرقا فيهـا مثل : لا إله إلا الله فإن وقع فصل بطل النصب مثل « لا فيها غول » ونحوه .

(١) وقد قمنا بتحقيق عبارة « المقدمة » الواردة بأول كل مسألة من خلال نسخ المقدمة المشار اليها بقسم التحقيق .

(عبارة الشرح) . فإن جملة الأمر فى — لا — أنها على ضربين : تارة يـكون النفى بها نفى استغراق ، والأخرى لاتـكون نفى استغراق بل نفى اختصاص فمتى كان النفى نفى استغراق وهو ماكان جوابا لحرف مستغرق مثل أن يقول القائل : هل من أحد فى الدار ؟ فتقول : لا أحد فى الدار — بمعنى : لا من أحـد ، وكذلك : هل من رجل ؟ فتقول : لارجل — بمعنى : لا من رجل ، فبنيت النـكرة هنا مع (لا) لتضمنها معنى حرف الاستغراق ، والبناء يقتضى أن يـكون مجاورا المبنى لافاصل بينهما ويقتضى أن يكـــون مفردا لامضافا . . . . الخ .

* * *

(ب) التيسير والوضوح فى عرض الموضوعات :

بالرغم من ارتقاء صاحبنا فى منهج تأليفه لـكتابه « شرح المقدمة النحوية » وانتهاجه منهجا فريدا ومسلـكا جـديداً فى تصنيف الـكتاب على غرار كتابه (المقدمة النحوية) التى عالج فيها عمومات النحو حتى انتقل بها فى كتابه هذا إلى الشرح والتوضيح فإننا نجد صاحبنا قد آثر أسلوب التيسير والوضوح فى عرض موضوعاته فجاء أسلوبه يسيرا مبسطا يسهل فهمه لمن يريد أن يقرأ نحوا وبخاصة أن أبا الحسن بن بابشاذ كان يملى كتابه هذا على أحد طلابه وهو أبو القاسم ابن عبد الرحمن .

ولعل أفضل وأقصر طريق لتأكيد هذه الحقيقة هو الاستشهاد بثلاثة نماذج من أبواب مختلفة من (شرح المقدمة النحوية) كى نستوضح منها مدى يسر أسلوب كاتبه ووضوحه فى علاج مختلف مسائل النحو :

ومن تلك النماذج :

١ — قول المصنف فى أول فصل الاسم (قسمة الأسماء) :

« وأما قولنا : وقسمة الأسماء ثلاثة ، ظاهرة ومضمرة وما بينهما ، فإنهذا جواب القسمة التى تعرف بها الجملة فتنحصر لك الأسماء كلها ولايشذعنك شىء منها فإن قيل لك : فما الحاجة إلى قسمتها ثلاثة ، وألا جعلت كلها ظاهرة أو مضمرة ؟ قيل : لكل واحد من ذلك غرض صحيح فالغرض بالأسماء الظاهرة البيان كرجل وزيد ، والغرض بالأسماء المضمرة الاختصار من نحو : أنا وأنت وهو ، والغرض بأسماء الإشارةالتنبيه من نحو : ذاو ذان وتان وأولاء ، والغرض بكل واحد من هذه الثلاثة غرض صحيح لايغنى عنه الآخر ، ولايخلو كل اسم ظاهر من جواز الثلاثة فيه » .

٢ — قال أبو الحسن طاهر فى آخر فصل النصب (المبنى على الفتح) :

« فهذه جملة للنصوبات التى عليها مدار الكلام اسماكان أو فعلا وما عدا هذا مما لم يعمل فيه عامل مما أشبه الحرف أو ضمن معنى الحرف أو وقع موقع الفعل المبنى فهو مفتوح لامنصوب كما قلنا فى فصل الرفع والضم ، وذلك مثل : أين وكيف والآن ، والأسماء المركبة من أحد عشر إلى تسعة عشر كلها مبنية على الفتح طلبا للخفة وكذلك الحروف المبنية على الفتح مثل : إن وأخواتها فيقال لجميعها مفتوح ولايقال له منصوب ، وكذلك كل حرف مبنى على الفتح مثل واو العطف وفائه وثم وكذلك كل فعل ماض مبنى على الفتحللخفة يقال له مفتوح ولايقال له منصوب — ليفرق بين حركات الإعراب وحركات البناء» .

٣ — قال ابن بابشاذ فى فصل التابع (النعت) :

« وأما قولنا : وكل المعارف توصف بالمفردات دون الجمل فإن العلة فى امتناع وصف المعارف بالجمل أن الجمل نكرات ، والنكرة لا تكون نعتا للمعرفة

فلذلك لايجوز : مررت بزيد وجهه حسن ، وأنت تريد الصفة لما ذكرنا ، فإن أردت ذلك فأدخل (الذى) واجعل الجملة صلة الذى فتقول : مررت بزيد الذى وجهه حسن ، فتكون قد توصلت إلى وصف المعارف بالجمل بدخول واسطة كما توصلت إلى الوصف بالأجناس بذى الذى بمعنى صاحب — وهو الأصل فى استعمالهم الذى والتى وتثنيتها وجمعها .. فاعرف ذلك » .

وهكذا يتضح لنا وضوحه فى الأفهام ، وتتضح السهولة واليسر فى الأسلوب الذى كان مسلك أبى الحسن بن بابشاذ فى كتابه المحقق والذى بين أيدينا «شرح المقدمة النحوية » .

* * *

(جـ) دقة التقسيم والتسلسل المنطقى :

اتسمت كتابة أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ فى كتاب « شرح المقدمة النحوية » بالدقة فى التعبير ، وحسن العرض ، وعدم التزيد أو الإطالة والإطناب . كما اهتم فى تأليفه بحسن الترتيب ، وإيراد الحجة والتسلسل المنطقى فى عرض القضايا والمسائل المختلفة . . ولعل أبرز تأكيد لهذا الموضوع هو إيراد بعض النماذج من كتابنا هذا ، وسوف أورد هنا ثلاثة نماذج من أماكن متفرقة يتضح فيها دقة تعبيره وحسن عرضه وتعليله ، ومدى تسلسله المنطقى فى عرض قضايا النحو ومسائله المختلفة .

ومن تلك النماذج :

١ — قال ابن بابشاذ فى فصل الاسم (قسمة الأسماء) .

« وأما قولنا : أما الظاهر فهو كل مادل بظاهره وإعرابه على المعنى المراد

به فإن الدلالة دلالتان ، دلالة تدل دلالة الذات ، ودلالة تدل دلالة الإعراب ، فدلالة الذات هي التي تدل على ذات الشيء في نفسه ، ودلالة الإعراب التي تدل على عوارضه التي تعرض فيه ، ألا ترى أنك إذا قلت : ما أحسن زيد — يفهم من زيد معنى الشخصية وهي ذاته ولا يعرف ما قصدت من نفي الإحسان عنه أو إثبات الحسن له أو الاستفهام من ذلك ، فإذا أردت النفي قلت : ما أحسن زيد — برفع زيد ، فإذا أردت إثبات الحسن عن طريق التعجب قلت : ما أحسن زيداً — بالنصب ، وإذا أردت الاستفهام جررت زيداً ورفعت أحسن فقلت : ما أحسن زيدٍ ؟ فهذه معاني ثلاثة لم يفرق لك بين كل واحد منها وبين الآخر إلا الإعراب فبان لك أن الاسم الظاهر مادل بظاهره وإعرابه على المعنى المراد به ، وبان لك شدة الحاجة إلى معرفة الإعراب كمعرفة الذات ، وكما لا يصح أن تجهل معرفة الذات فيما هذه سبيله كذلك لا يصح أن تجهل معرفة الإعراب لأن البيان مرتبط بهما جميعاً » .

٢ — وقال أبو الحسن أيضاً في أول فصل الفعل (تعريفه) :

« الفعل مادل على حدث وزمان محصل مثل فعل يفعل وسيفعل ، وإنما لقب هذا النوع فعلا لأنه لفظ توزن به جميع الأفعال ويعبر عنها به . . فإن هذا حد الفعل المتصرف لا يخرج فعل من الأفعال عنه لأن الأفعال إنما دخلت الكلام لتدل على الزمان والحدث دلالة إفادة وهي بخلاف الأسماء التي تدل دلالة الإشارة ، ودلالة الأسماء دلالة واحدة وهي ذات المسمى ، ودلالة الأفعال دلالتان — دلالة الزمان ودلالة الحدث ، فدلالة الزمان من نفس الصيغة ودلالة الحدث من نفس اللفظ ، وإنما لقب فعلا ليفرق بينه وبين المصدر الذي هو الحدث وهو اسم الفعل لأن المصدر يأتي على أوزان كثيرة مقيسة وغير مقيسة ، والأفعال تأتي على أوزان محصورة مقيسة قد جمعت في فصل الفعل بجمعها لفظة (فعل) توزن به جميع الأفعال ، ويعبر به عنها » .

٣ — وقال صاحبنا كذلك في أول فصل الجزم :

« وجملة الأمر أن الجزم شيء يخص الأفعال كما أن الجر شيء يختص بالأسماء ، ولما كان الجار بجاز جالب له وجب أن يكون الجزم بجازم جالب له ، والجزم هو القطع ، والقطع قطعان ، قطع حركة وقطع حرف فقطع الحركة هو الأصل وهو يكون في الأفعال الصحيحة على ما مثلنا ،وقطع الحرف يكون في حروف العلة وهي الواو والياء والألف والنون على ما مثل لأن الجازم لما لم يجد حركة يزيلها أخذ من نفس الفعل وهو عندهم مشبه بالدواء الداخل على الجسم إن وجد فضلة أخذها وإلا أخذ من نفس الجسم . وكذلك الجازم لما لم يجد في حروف العلة حركة يأخذها أخذ نفس حرف العلة فحذف الياء في : لم يرم ونحوه ، والواو في : لم يغز ونحوه ، والألف في : لم يخش ونحوه ، وفعل مثل ذلك فيما عوض من الضمة وهي النون في تفعلان وأخواته فأزالها وحذفها كما تحذف الضمة ، فإذا ثبت هذا فجملة المجزومات ثلاثة ، نهي أو أمر باللام مثل ،لاتفعل وليفعل فلان ، ومجزومات نفي مثل : لم يفعل ولما يفعل ، لأن لم ولما لنفي الماضي ، ومجزومات شرط أو مقـــدر بالشرط مثل : إن تفعل أفعل» .

وهكذا يتضح لنا — من خلال استعراضنا للنماذج الثلاثة السابقة — يتضح لنا دقة المؤلف في التقسيم وحسن تعبيره المؤدي للفهم والاستيعاب الذي دعمه بالأمثلة والأدلة والعلل المختلفة ، كما لايخفى حسن ترتيبه ومدى تسلسله المنطقي وهو يعرض معظم مسائله النحوية في كتابنا هذا مما يجعل القارىء أو الباحث يسترسل في قراءته وفهمه حتى يصل في النهاية منطقيا إلى الحقيقة أو القاعدة النحوية التي يريد ابن بابشاذ أن يصل به إليها .

* * *

(د) استقصاء الحديث لاستيفاء موضوع واحد :

وكان غالباً ما يتجه ابن بابشاذ إلى تفصيل الأمور وحسن عرضها ، فإذا ما صادف مسألة تحتاج استيفاء فيحاول أن يتبعها باستقصاء الحديث عنها حتى يوفيها حقها فيصل بذلك إلى غرضه من حسن العرض وتسهيل الفهم للباحثين والقارئين .

١ — ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك قوله في فصل الحروف حين أراد التعرض للحرف (حتى) ضمن احرف النصب قال :

« وحتى — لها في النصب معنيان : أحدهما كمعنى كي وهـــو إذا كان ما بعدها مسبباً عما قبلها مثل : قمت حتى تقوم ، وصمت حتى يغفر الله لي أي كي يغفر الله لي ، وإذا لم يكن ما بعدها مسبباً عما قبلها كانت بمعنى ، إلى أن مثل : سرت حتى تطلع الشمس بمعنى إلى أن تطلع الشمس ، وليس بمعنى كي هاها لأن الشمس تطلع سواء سار سائر أو لم يسر ، فهذان معنيان للنصب أبداً ، والرفع معنيان أحدهما أن يكون الفعل في تأويل الماضي ، أو في تأويل فعل الحال فمثال الذي بمعنى الماضي قولك : سرت حتى أدخلها — بالرفع أي سرت فدخلتها ، فليست هاهنا عاملة ، وإنما حرف من حروف الابتداء ، وكذلك إذا أردت الحال كأنك قلت : سرت حتى أنا الآن أدخلها ، وعلى هذا يقرءون : « وزلزلوا حتى يقول الرسول) رفعاً ونصبا . . » .

٢ — وثمة مثال آخر يؤكد تلك الحقيقة ويوضحها وهو قوله في فصل العامل وهو يستقصي الحديث عن (حبذا) ضمن استيفائه للأفعال الجامدة — قال :

« وأما حبذا فإنها مجراة مجرى نعم في احتياجها إلى اسمين فاعل ومقصود

فاعلها (ذا) الذى هو اسم الإشارة ، وقد جعل مع حب كالشىء الواحد ، ولما جعلا كالشىء الواحد غلب بعض أصحابنا عليهما معنى الاسمية لأنه اجتمع فعل واسم ، وقد صيرا كالكلمة الواحدة فيكون الاسم أقوى من الفعل غلب حكم الاسمية ، ولما غلب حكم الاسمية ، جعلا جميعا كالشىء الواحد فى موضع المبتدأ وخبره الاسم الأخير المقصود بالمدح من قولك : حبذا زيد ، ومن أصحابنا من غلب عليها حكم الفعلية لأن حب عمل فى (ذا) الرفع كما يعمل كل فعل فى فاعله ، والبداية به أيضاً لأنه أسبق والكلام مبنى عليه ، فكان بالتغليب أولى ، وإذا كان بتغليب الفعلية أولى كان الاسم الأخير فاعل حبذا ، والكلام كله على هذا الوجه فعل وفاعل ، وعلى الذى قبله : مبتدأ وخبر وفيهما من بعد بعد ذلك وجهان آخران : أن تكون حب على حالها فعلا وذا على حاله أساساً لا يغلب أحدهما على الآخر فيكون الاسم الأخير إما مبتدأ وإما خبر مبتدأ على حد : نعم الرجل زيد ، وأصل حب ، حبب — بباءين بوزن فعُل بدليل قولهم حببت فسكن وأدغم لأن فعل قد كثر استعماله فى باب نعم وبئس وعليه حمل قوله تعالى : (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) أى كبرت الكلمة كلمة تخرج من أفواههم فالكلمة الأولى فاعله ، والكلمة الثانية تمييز والكلمة الثالثة المقصودة بالذم مرفوعة بالابتداء ، وتخرج من أفواههم : جملة فى موضع رفع نعت لها كأنه قال : كلمة خارجة من أفواههم ، وإذا وقع الاسم بعد حبذا منصوباً نظر فإن كان جنساً مثل : حبذا رجل وحبذا امرأة قيل : هو تمييز مقدر بمن ، ومتى كان المنصوب مشتقاً مثل : حبذا قائماً زيد ، وحبذا قائمة هند قيل هو حال مقدر بفى . . فاعرف الفرق بين النصبين » .

من خلال النموذجين السابقين يتضح لنا صدق ما قررناه فى منهج صاحبنا وطريقته فى كتابه وهو ميله إلى الاستقصاء لاستيفاء بعض موضوعاته كما استوفى

الحديث فى (حتى) ثم فى (حبذا) وهو استقصاء مفيد بلا إطالة أو حشو أو استطراد غير مقبول .

* * *

(هـ) الإجمال بعد التفصيل :

وقد ظهر جلياً من خلال دراستنا لكتاب (شرح المقدمة النحوية) أن أبا الحسن بن بابشاذ كثيراً ما كان يميل إلى تلخيص المسألة وإجمالها بعد أن يفصلها ويستقصى كل الآراء حولها ، كانت هذه الطريقة مطردة تقريباً فى معظم مسائل كتابه فكثيراً ما نجده يقــــول : وجملة الأمر ، وجملة الأشياء وجملة المجزومات ، وجملة المجرورات . . وهكذا . وهى طريقة جيدة فى التأليف حيث تشد انتباه القارىء أو الباحث وتعطيهما الفرصة للإلمام بالحقائق وتذكرها مهما كثرت أو طال عرضها فهو دائماً يقدمها له فى النهاية موجزة ملخصة يستوعبها ويحفظها دون عناء أو جهد وكى نوضح هذا الأمر نستشهد ببعض النماذج من كتابه . .

١ — قال ابن بابشاذ فى آخر فصل الاسم (خواص الأسماء) بعد حديث طويل فى فصل الاسم

« وجملة الأمر أن خواص الأسماء كلها لاتخلو من أربعة أقسام : إما من أوله مثل حروف الجر وحروف النداء ولام التعريف ، وإما من آخره مثل التعريف وإما من آخره مثل : تنوين التمكين والتثنية والجمع المنقلبين وتاء التأنيث المنقلبة فى الوقف هاء وألفى التأنيث المقصورة والممدودة ، وياءى النسب ، وأما من جملته مثل التصغير والتكسير والإضمار ، وأما من معناه مثل كونه مخبراً عنه وفاعلا ومفعولا ومعرفا ومنكراً ومنعوتاً . . »

٢ — كما قال المصنف مجملا ما قاله فى مكان آخر حيث ذكر فى فصل العامل بعد حديث عن المتعدى إلى ثلاثة :

« وجملة الأمر أن هذه السبعة (أعلم وأرى ونبأ وأنبأ وأخبر وخبّر وحدث) أصلا مما يتعدى إلى اثنين فلما دخلته الهمزة والتضعيف فى أعلم وأرى وأنبأ عدته إلى آخر فصار يتعدى إلى ثلاثة ولما تعدى إلى ثلاثة لم يجز أن تلغى هذه الأفعال عن العمل لأنه لو ألغيت عن العمل فى حال توسطها أو تأخرها لبقيت أسماء لامعنى لذكرها ولافائدة فى اجتماعها » .

وكثيراً ما كان يعتبر عبارة المقدمة إجمالا وتلخيصا يأتى بعدها بتفصيل وشرح كما أوضحنا فى النقطة (ا) من هذا الفصل .

* * *

(و) مزج النحو باللغة والتصريف :

وبالرغم من أن المقدمة نحوية والشرح لمقدمة النحوية كذلك إلا أن ابن بابشاذ اهتم كذلك بايراد بعض الإشارات اللغوية والصرفية ، وكان أبرز هذه الاهتمامات اللغوية هى اهتمامه أحيانا بجانب من الصوتيات . ولاشك أن علوم اللغة جميعاً يخدم بعضها بعضاً ، ولاأعتقد أن هناك إنفصالاً أو حدوداً قاطعة بين علم النحو كل من فقه اللغة وعلم الصرف فكلها يتعلق بالكلمة وأبنيتها وتراكيبها ووضعها وإعرابها واستعمالها ووظيفتها فى الكلام .

ونود أن نورد هنا ثلاثة نماذج مختلفة توضح بعض الإشارات اللغوية والصرفية التى أشار إليها صاحبنا فى كتابه (شرح المقدمة النحوية) .

١ — قال المصنف فى فصل الاسم (الأسماء الظاهرة المعربة) :

« وكل ذلك إذا وصل بكلام ثبت فيه تنوينه وحركته ، وإذا وقف عليه

سقط منه تنوينه وحركته غالبا ما خلا النصب . . وإنما قلنا : غالبا احترازاً من وجوه أخر تجوز فى الوقف على المرفوع وهو : الإشمام والروم(١) والتضعيف ونقل الحركة . والسكون هو الأصل الأغلب والأكثر من هذه الوجوه فلذلك قلنا غالبا فمن سكن فهو الأصل لأنه سلب الحركة ، ومن أشم أو رام أو نقل أو ضاعف فإنما هو حرص على بيان الحركة التى كانت فى الوصل ..» .

فنجد أن أبا الحسن قد تناول هنا اصطلاحى الإشمام والروم وهما من الأمور الصوتية التى يهتم بها علماء فقه اللغة ، وكذلك أيضاً نجده تكلم عن الإيهان(٢) وهو اصطلاح صوتى فقال فى فصل الاسم كذلك (فى حديثه عن التنوين للاسم المقصور) .

٢ — قال : « وإنما سمى مقصوراً لأنه قصر عن الإعراب كله أى حبس عنه فلم يدخله رفع ولا نصب ولا جر ، وإنما امتنع ذلك من قبل أن الألف ساكنة أبدا لا تتحرك بحركة ، وتحريكها يؤدى إلى ردها إلى أصلها ، وردها إلى أصلها يؤدى إلى ثقل استعمالها لأن الأصل فى عصا — عصو، وفى فتى — فتى فلما ثقل هذا وقد تحرك حرف العلة وانفتح ماقبله قلبته ألفا بعد أن حذفت حركة الضمة التى كانت على الواو لأن حرف العلة لا ينقلب إلا بعد إيهانة بالسكون ، ولما قلبته ألفا التقى ساكنان الألف والتنوين فحذفت الألف لالتقاء الساكنين وخصصها بذلك دون التنوين لأن على حذفها دليلا وهو الفتحة التى قبلها فإذا قلت : هذه عصا ، ومررت بعصا ففيه قلب وحذفان على ماشرحنا وهو أن الحذف حذفان ، حذف الحركة للإيهان وحذف الألف لالتقاء الساكنين وكذلك النصب والجر ..»

---

(١) ، (٢) تم التعريف بهذه الاصطلاحات فى أماكنها بقسم التحقيق .

ففى هذا النموذج نلاحظ كيف اهتمت المسألة بنواحى صرفية ولغوية فى وقت واحد حيث تحدثت عن القلب والحذف والإبهام .

٣ — وقال فى فصل الحرف (حرف التنكير بالتنوين) :

« فإن التنوين نون ساكنة تخرج من الخيشوم بلا كلفة بدليل أن المتكلم إذا أمسك أنفه لم يخرج للنون مخرج بل تحبس » .

٤ — وثمة مسألة رابعة بها ملامح صرفية نوردها من فصل الخط (الممدود) نستدل بها على ما قررناه حيث قال ابن بابشاذ :

« . . . الهمزة المتطرفة فى الممدود لا تخلو من أن تكون أصلية أو منقلبة عن حرف أصلى أو زائدة للإلحاق أو زائدة للتأنيث فمثلنا لكل واحد من هذه الأقسام بمثال لتقيس عليه النظائر وتعمل بما يوجبه الحكم فى التثنية والجمع والنسب والتصغير ... الثانى ما همزته منقلبة عن حرف أصلى وهو كساء ورداء وعلباء وإناء وشقاء ونحوه — الهمزة منقلبة عن حرف علة إما بالواو وإما بالياء فالواو فى مثل كساء لأنه من الكسوة وكذلك العطاء لأنه من عطا يعطو . . وكذلك شقاء لأنه من الشقوة . فأما رداء فإن الهمزة بدل من ياء لقولهم : فلان حسن الردية وكذلك إناء . . . ولو كان هذا كله منسوباً لما كان إلا بألف واحدة فى جميع الإعراب كله لأن ياء النسب يغير لها ما قبلها فإن كان أصلياً مثل : حناء قلت : حنائى فالهمزة الأخيرة تصير ياء فى الخط وهى همزة فى اللفظ وإن كانت منقلبة عن أصل جاز وجهان : الهمزة والقلب واوا فتقول ، كسائى وكساوى ..، وإن كانت للإلحاق فوجهان أيضاً أجودهما القلب واوا فتقول حرباوى وحربائى، وإن كانت للتأنيث فوجه واحد وهو القلب واوا فتقول حمراوى وصفراوى . فإن صغرت جميع ذلك لم يكن فيه ألف بحال ما خلا باب حمراء لأن ألف المد تنقلب ياء لانكسار ما قبلها وتدغم ياء التصغير فيها فتجتمع الياءان مع تصغير

البنية فنقول في تصغير حناء : حنيني‌ءٌ بالتشديد وهمزة معربة فالتشديد هي لياء التصغير ، وقعت ياء التصغير ثالثة بين النون الشديدة والمقدرة بنونين فانفك الإدغام ثم انقلب ألف المد ياء لأجل الكسرة التي بعد ياء التصغير وبقيت الهمزة ... وتصغير مثل كساء . . هذا الكسي ، ومررت بالكسي ورأيت الكسي ، كل ذلك بثلاث ياءات فالأولى ياء التصغير ، والثانية هي المنقلبة عن ألف المد المدغم فيها ، والثالثة هي المنقلبة عن الهمزة التي هي لام الكلمة التي لا زالت بزوال المد . . . فإن صغرت مثل حرباء وبابه فبياء مشددة لا غير لأنه لم يجتمع فيه ما اجتمع في كساء من التقاء الياءين فنقول : هذا حريبي ورأيت حريبياً ومررت بحريبي .. فإن صغرت حمراء وصفراء فلا قلب فيه ولا إدغام لأن همزة التأنيث بمنزلة تاء التأنيث لا تتغير في التصغير .. فنقول هذه حميراء — حكمها في الخط كحكمها في التصغير لأن همزتها في التصغير لم تزل . . فأما معرفتها في جمع التكسير فإن المد يتغير ويزول في جميعها — ألا ترى أنك تقول في حناء : حنائي ، وفي كساء : أكسية ، وفي حرباء : حرابي ، وفي صحراء : صحارَى وصحارٍ وصحارِي .

وكذا نرى من هذا النموذج الذي أطلت في إيراد نصه بالرغم من أنني انتخبت منه ما يهم موضوعنا وتركت الباقي — وهو ما استعضت عنه بوضع بعض النقط المتجاورة في وسط النص لتدل على حذف بعض ما لم نحتج اليه من النص — نقول هكذا نرى من نموذج واحد مدى الإشارات والملامح الصرفية التي اهتم بها ابن بابشاذ في هذا المجال من النسب والتصغير والقلب والإعلال والإبدال وجمع التكسير .

وسوف نكتفي بالنماذج الأربعة السابقة فشأنها كشأن ما سبقها من نماذج

إنما تسوقها على سبيل الأمثلة وليس على سبيل الحصر لكن نوضح النقطة التى تتناولها بالبحث

* * *

(ز) الاحتجاج بالقرآن الكريم وقراءته :

كان للاحتجاج بشواهد القرآن الكريم نصيب موفور عند ابن بابشاذ فى (شرح المقدمة النحوية) شأنه شأن سيبويه وغيره من النحاة ، وبإحصاء الشواهد القرآنية بالنص المحقق كله وجدناها مائة واثنين وستين شاهداً ترددت فى مائة وستة وسبعين موضعاً .

وتراوحت هذه الشواهد بين أربع آيات — فى المكان الواحد — وبين آيتين وآية واحدة وأحياناً كان يستشهد بجزء من آية قد يصل إلى كلمة واحدة فقط :

ولم يقف استشهاده على القراءة المشهورة بل تمداها إلى القراءات العشر الأخرى ، وقد تم الإشارة إلى هذه القراءات المختلفة فى أثناء تحقيقها بالنص المحقق فى القسم الثانى من الرسالة .

وبلغ عدد شواهد القراءات ثلاثة وعشرين شاهداً .

ولتأكيد هذه القضية نحاول الإتيان ببعض النماذج لنثبت بها ما قررناه فى هذا المجال على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر (١)

---

(١) لمعرفة الحصر الشامل لشواهد القرآن الكريم وبيان سورها وأرقام آياتها يرجع إلى فهارس القرآن الكريم بقسم الفهارس الفنية للتحقيق .

١ — فمن نماذج استشهاده بأربع آيات نجده قد استشهد بالآيات الأربع الأولى من سورة الزلزلة (بآخر فصل الاسم / تنوين العوض) :

قال تعالى : « إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها ، يومئذ تحدث أخبارها [١] » .

٢ — ومن نماذج استشهاده بأربع آيات كذلك ماذكره فى (فصل الحروف جواز الفصل بين أما وجوابها) حين استشهد بآيات أربع من سورة الواقعة .

قال تعالى : « فأما إن كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين ، فسلام لك من أصحاب اليمين [٢] » .

ولم يستشهد ابن بابشاذ فى كتابه بأربع آيات إلا فى الموضعين السابقين — على سبيل الحصر — ولم نجده قد استشهد أبداً بثلاث آيات ، بل استشهد بآيتين فى أكثر من موضع ونأتى هنا بنموذجين من ذلك .

٣ — ذكر فى (فصل الحروف غير العاملة / معنى لام الابتداء التأكيد) مستشهداً بآيتين من سورة الصافات .

قال تعالى : « وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبحون [٣] » .

٤ — وذكر كذلك فى آخر فصل العامل (مسائل مشكلة فى العوامل المعنوية) مستشهداً بآيتين من سورة المعارج :

قال تعالى : « كلا إنها لظى ، نزاعة للشوى [٤] » .

---

(١) سورة الزلزلة / ١و٢و٣و٤ .

(٢) سورة الواقعة / ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ .

(٣) سورة الصافات / ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٤) سورة المعارج / ١٥ ، ١٦ .

وهذان مثلان من بعض الشواهد التى استشهد فيها بآيتين معا ، وكان يستشهد أحيانا بآية وجزء من آية أخرى . .

٥ — فنجده مثلا قد ذكر فى فصل العامل (المصدر المقـدر بأن والفعل . عمل المصدر منونا) مستشهدا بآية وجزء من الآية التى تليها من سورة الطلاق : قال سبحانه « قد أنزل الله اليكم ذكرا ، رسولا[١] . . » .

٦ — وكذلك وجدناه يستشهد فى موضع واحد بآيه واحدة من سورة وجزء من آية بسورة أخرى حيث ذكر فى فصل النصب (الحال) مستشهدا بآية من سورة الأحقاف وجزء من آية بسورة البقرة :

قال سبحانه : « وهـــذا كتاب مصدق لسانا عربيا[٢] ، وهو الحق مصدقا[٣] . . » .

أما استشهاده بآية واحدة من آى القرآن الكريم فأمثلته كثيرة جدا نورد منها هنا ثلاثة نماذج فقط نختارها من أماكن متفرقة . .

٧ — ذكر فى فصل الاسم (ضمائر النصب) مستشهدا بآية من سورة الفاتحة : قال تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين[٤] » .

٨ — وذكر أيضاً فى فصل الحرف (حتى : جارة) مستشهدا بآية من سورة القدر : قال تعالى : « سلام هى حتى مطلع الفجر[٥] » .

---

(١) سورة الطلاق / ١٠ ، ١١ .
(٢) سورة الأحقاف / ١٢ .
(٣) سورة البقرة / ٩١ .
(٤) سورة الفاتحة / ٥ .
(٥) سورة القدر / ٥ .

٩ – وذكر كذلك فى فصل الحرف (سوف للتنفيس والاستقبال) مستشهدا بآية من سورة الضحى :

قال تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى[١] » .

أما استشهاده بجزء من آية فكثير جداً نذكر منه بعض النماذج على ذلك هاهنا . .

١٠ – ذكر فى تعريف علم النحو بأول الكتاب (معنى الاستنباط) مستشهدا بجزء من آية بسورة النساء :

قال تعالى : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم[٢] » .

١١ – وفى موضع آخر بفصل الفعل (الإشمام والروم) مستشهدا بجزء من آية بسورة يوسف : قال تعالى : « قالت امرأة العزيز[٣] » .

١٢ – وفى موضع ثالث بفصل الحرف (لا – تنصب النكرة) مستشهدا بجزء من آية بسورة الصافات :

قال تعالى : « لا فيها غول[٤] » .

وكان يقصر استشهاده بالقرآن الكريم أحيانا على كلمتين أو كلمة واحدة لايحتاج الاستشهاد إلى أكثر منها . . ومن ذلك :

---

(١) سوره الضحى / ٥ .

(٢) سورة النساء / ٨٣ .

(٣) سورة يوسف / ٥١ .

(٤) سورة الصافات / ٤٧ .

١٣ — ذكر فى فصل الفعل (الإشمام والروم) مستشهدا بكلمتين من آية بسورة الرعد :

قال سبحانه : « ولقد استهزىء(١) » .

١٤ — وفى مكان آخر بفصل الحروف (جوازم الفعل المستقبل) مستشهدا بكلمتين من آية بسورة يونس :

قال تعالى : « فبذلك فلتفرحوا(٢) » .

١٥ — وفى موضع ثالث بفصل الاسم (تسكين ياء المتكلم) مستشهدا بكلمة واحدة من آية بسورة الأنعام . . قال تعالى : « محياى(٣) » .

١٦ — وفى موضع رابع بفصل النصب (حذف النون) مستشهدا بكلمة واحدة أيضاً من آية بسورة الأنعام . . قال تعالى : « أتحاجونى(٤) » .

وكان للقراءات(٥) دورها عند ابن بابشاذ فى استشهاده بآى القرآن الكريم ولتدليله على مختلف المسائل النحوية التى كان يعرضها ويقررها ، وسادت هذه القراءات فى ثلاثة وعشرين شاهداً بكتابه « شرح المقدمة النحوية » كله نضرب منها أربعة أمثلة فى هذا المجال :

١٧ — ذكر فى فصل الفعل (الفرق بين نون التوكيد والتنوين) مستشهدا بقراءة لابن عامر فى أحدى آيات سورة يونس :

---

(١) سورة الرعد / ٣٤ .
(٢) سورة يونس / ٥٨
(٣) سورة الانعام / ١٦٢
(٤) سورة الانعام / ٨٠
(٥) تم تحقيق شواهد القراءات من مصادر القراءات ، ويمكن الرجوع إليها بقسم التحقيق .

قال تعالى : « فاستقيما ولاتتبعان[1] » بتخفيف النون وكسرها :

١٨ — وذكر أيضاً فى فصل الحروف (حتى — التى لا تعمل) مستشهدا بقراءة نافع فى إحدى آيات سورة البقرة :

قال تعالى : « وزلزلوا حتى يقول الرسول[2] » برفع الفعل بعد حتى أو نصبه .

١٩ — وذكر المصنف كذلك فى فصل العامل (المبنى لما لم يسم فاعله / المعتل أوله) مستشهدا بقراءة، ابن جماز وأبى عمرو وعيسى فى إحدى آيات سورة المرسلات :

قال تعالى : « وإذا الرسل وقتت[3] » بالهمزة أو الواو .

٢٠ — وذكر أيضاً فى فصل العامل (يجوز وجهان فى معمولى اسم الفاعل وإسم المفعول) مستشهدا بقراءة الكوفيين لإحدى آيات سورة الأنعام » .

قال تعالى : « وجعل الليل سكنا[4] » بنصب الليل .

وهكذا ومن خلال عرضنا لهذه النماذج العشرين تتضح مدى عناية أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ بشواهد القرآن الكريم ، واعتماده ، عليها فى حسم قضايا النحو ومسائله المختلفة .

وثمة ملاحظة نرى استنتاجها فى هذا المقام وهى أن ظاهرة الإكثار من شواهد القرآن الكريم اشتهر بها بين علماء النحو : ابن هشام فى كتبه وعلى

---

(١) سورة يونس / ٨٩ .
(٢) سورة البقرة / ٢١٤ .
(٣) سورة المرسلات / ١١ .
(٤) سورة الأنعام / ٩٦ .

الأخص كتابه « مغنى اللبيب » الذى أورد به مئات الشواهد من القرآن الكريم وإذا تتبعنا الأمر وجدنا أن ابن هشام عالم من نحاة مصر وهو من علماء القرن الثامن الهجرى حيث توفى سنة ٧٦١ هجرية ، ويعتبر ابن هشام ممن تعلمذوا على كتب وعلم ونحو أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ العلامة النحوى الذى عاش بمصر فى القرن الخامس الهجري والذى توفى عام ٤٦٩ من الهجرة .

فمن هنا نرى أن صاحبنا ابن بابشاذ كان من أول نحاة المدرسة المصرية الذين أكثروا من الاستشهاد بالقرآن الكريم ثم نسج على منواله ، وزاد عليه كثيراً ابن هشام العالم المصرى الذى خلف ابن بابشاذ بعد ثلاثة قرون من الزمان .

* * *

(ج) الاحتجاج بالحديث الشريف :

ولم يكن لشواهد الحديث الشريف نصيب وفير شأن شواهد القرآن الكريم بل لم يرد فى كتاب (شرح المقدمة النحوية) كله إلا ثلاثة شواهد من الحديث الشريف نوردها فى الآتى :

١ — ذكر ابن بابشاذ فى فصل الاسم (جمع الممدود) مستشهدا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس فى الخضراوات صدقة » .

٢ — وجاء فى موضع آخر فى الكتاب بفصل الحرف (لام الأمر تدخل لتأكيد المخاطبة) مستشهدا بقول الرسول الكريم : « لتأخذوا مصافكم » .

٣ — وفى موضع ثالث ذكر بفصل العامل (مسألة كسألة الكحل) مستشهدا بقوله عليه أفضل الصلاة والسلام :

« ما من أيام أحب إلى الله فيها الصوم منه فى عشر ذى الحجة » .

وقد حاولنا تحقيق هذه الشواهد ، وتخريج الأحاديث فى أماكنها بقسم التحقيق .

ولعل ظاهرة قلة استشهاده بالحديث الشريف ترجع إلى تمسكه بتقاليد المدرسة البصرية التي تحفظت فى الاستشهاد بالحديث الشريف وذلك لأنه روى بالمعنى لا باللفظ ، ودخل فى روايته كثيرون من الأعاجم الذين لا يؤمنون على اللحن (١) .

(ظ) الاحتجاج بالشعر وأقوال العرب :

وقد وجدنا ابن بابشاذ قد أعطى عناية للاحتجاج بالشعر وأقوال العرب وبإحصاء تلك الشواهد وجدناه قد استشهد فى « شرح المقدمة النحوية » بتسعة وثلاثين شاهدا من أشعار العرب من أبيات الشعر أو الرجز أو أنصاف الأبيات ليدعم بها آراءه النحوية ، ويؤكد بها مختلف المسائل .

وبتحقيق هذه الشواهد وجدنا منها تسعة عشر شاهداً من شواهد الكتاب عند سيبويه أى من الشواهد النحوية المعروفة ، واستشهد بغيرها أيضاً ... ولكي ندعم هذا القول نستدل ببعض النماذج مما ورد فى كتاب (شرح المقدمة النحوية) .

١ — فقد استشهد ببيتين للشماخ فى موضع واحد بفصل الجر مستشهدا على قبح إضافة الصفة مجردة من أل إلى مضاف لضمير وهو ضرورة أنشدها سيبويه من شواهد كتابه — قال :

أمن دمنتين عرج الركب فيهما ... بحقل الرخامى قد عفا طللاهما
أقامت على ربعيهما جارتا صفا ... كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما

---

(١) المدارس النحوية للدكتور شوقى ضيف ص ٨٠ .

٢ — واستشهد بشاهد البيت الواحد فى خمسة وعشرين موضعا نذكر منها هاهنا استشهاده بقول عبد الله بن قيس الرقيات فى فصل الاسم (جمع المذكر معنى المؤنث لفظا) قال :

رحم الله أعظما دفنوها ... بسجستان طلحة الطلحات

٣ — واستشهد كذلك ببيت لأبى مروان النحوى فى فصل الحرف (حتى ـ حرف ابتداء) قال :

ألقى الصحيفة كى يخفف رحله ... والزاد حتى نعله ألقاها

٤ — وثمة شاهد آخر من أرجاز رؤبة ذكره فى فصل الحرف (واو رب) قال :

وبلد عامية أعماؤه ... كأن لون أرضه سماؤه

٥ — ومن شواهد أنصاف الأبيات التى أوردها ابن بابشاذ فى (شرح المقدمة النحوية) استشهد فى فصل النصب بنصف بيت للمخبل — السعدى (فى جواز تقديم المميز على عامله) قال :

وما كان نفسا بالفراق تطيب

٦ — وشاهد آخر من أنصاف الأبيات التى استشهد بها صاحب شرح المقدمة قول رؤبة فى فصل العامل (مجىء أن فى خبر كاد) قال :

قد كاد من طول البلى أن يمصحا

٧ — وثمة شاهد آخر نورده من شواهد شرح المقدمة من أشعار العرب ولكنه مجهول قائله . . وهو مما استشهد به ابن بابشاذ فى فصل العامل (من شواهد المتعدى إلى مفعولين) قال :

أستغفر الله غفار الذنوب لما ... قدمت من عمل لم يرضه الله

وهكذا نرى أن التسعة والثلاثين شاهداً منها شاهد واحد وقع فى بيتين ،

وخمسة وعشرون شاهداً وقع كل منها فى بيت واحد ، وثلاثة عشر شاهدا وقع كل منها فى نصف بيت .

وقد نسبنا من هذه الشواهد اثنين وثلاثين شاهدا إلى قائليها فى أثناء عملية التحقيق . وبقى سبعة شواهد لم نهتد لقائليها ، وبعضها جاء من شواهد سيبويه الخمسين التى يجهل قائلوها .

أما عن عملية تحقيق الشواهد ذاتها فقد وفقنا فى تحقيق معظمها حيث حققنا منها خمسة وثلاثين شاهدا ، على حين لم نهتد للشواهد الأربعة الباقية بين كتب الشواهد والنحو المختلفة التى استعنا بها فى عملية التحقيق منها ثلاثة شواهد بنص التحقيق وواحد عبارة عن نصف بيت ورد بمقدمة النسخة (م) دون غيرها .

ومن الملاحظ على شواهد الشعر عند صاحبنا أنها تقع جميعاً بعصر الاحتجاج حيث لم يأت ابن بابشاذ بشاهد لشاعر بعد القرن الثالث الهجرى .

أما عن استشهاد ابن بابشاذ فى كتابه (شرح المقدمة النحوية) بأقوال العرب فكان قليلا كذلك مثلما جاء بشواهد الحديث الشريف نادرة ، فمن إحصائنا وتتبعنا لها وجدناه قد استشهد بأربعة من أمثال العرب نذكرها فيمايلى :

١ — ذكر فى فصل الاسم مستشهدا على أن (إيا : اسم مظهر) فذكر قولهم : « إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب » .

٢ — وذكر فى فصل الحرف مستشهدا على إضمار أن الناصبة بعد الواو فقال : « لا تأكل السمك وتشرب اللبن » ، وهو من الأمثال النحوية فقط ، ولا يعتبر من أقوال العرب .

٣ — وذكر فى فصل النصب مستشهدا على تفسير التمييز لشىء مبهم مستشهدا بقولهم :

« عليه شعر كلبين دينا » .

٤ — وآخر هذه النماذج ماذكره فى فصل العامل (عسى من أفعال الرجاء تدخل أن على خبرها تقديراً) فاستشهد بقول الزباء .

« عسى الغوير أبؤسا » .

وقد تم تحقيق هذه الشواهد من الحكم أو الأمثال وأقوال العرب من كتب الشواهد ، ويمكن الرجوع إليها بقسم التحقيق .

* * *

(ى) الاصطلاحات عند ابن بابشاذ :

وكان لأبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ اصطلاحاته التى يميل إلى استخدامها ، والتى أخذ معظمها عن أستاذه سيبويه والتى ستحدث ابن مالك — الذى جاء بعدها — اصطلاحات غيرها . فمن ذلك أنه سمى مايعرف بعد ابن مالك :

١ — بالمبنى للمجهول : مايبنى لما لم يسم فاعله .

٢ — والمبنى للمعلوم : ماسمى فاعله .

٣ — المضارع : الفعل الحال أو المستقبل .

٤ — المصدر المؤول : المصدر المقدر بأن والفعل .

٥ — ياء المتكلم : ياء النفس .

٦ — الحال : مايذكر للبيان عن هيئة الفاعل أو المفعول .

٧ — الضمير : المضمر .

٨ — نائب الفاعل : اسم مالم يسم فاعله .

كما أنه استحدث كثيراً من الاصطلاحات التى ادعى البعض(١) أن ابن مالك هو الذى استحدثها ومنها .

المفعول المطلق ، والمفعول فيه ، والمفعول به ، والمفعول له ، والمفعول معه ، والحال ، والتميز ، والاستثناء(٢).

* * *

(ك) موقفه من القياس والسماع :

كان لصاحبنا موقفه الواضح فى كتابه الذى بين أيدينا (شرح المقدمة النحوية) من قضية القياس والسماع ، ولكى نبين هذا الأمر نرى أن نتعرف على القياس(٣) أولا فهو لدى القدماء الأساس الذى نبنى عليه ما نستنبطه من قواعد أو صيغ فى اللغة ، والقياس ليس إلا استنباط مجهول من معلوم ، فإذا اشتق اللغوى صيغة من مادة لغوية ما على نسق أخرى مألوفة فى مادة أخرى سمى عمله هذا قياسا مما يؤدى فى النهاية إلى التوسع اللغوى واطراد الظواهر اللغوية ، وقد لجأ النحاة إلى القياس منذ وضعوا أسس علم النحو ، على أن القياس فى نشأة النحو لم يكن له من الشأن ما كان فى عهد الصراع العلمى بين مدرستى البصرة والكوفة حين اقتصر البصريون على جواز القياس على المشهور الشائع دون النادر على حين أجاز الكوفيون القياس على الشاهد الواحد .

---

(١) التسهيل لابن مالك (محقق) ص ٤٩ فى مقدمة التحقيق لمحمد كامل بركات حيث قال بذلك .

(٢) يراجع هذا بأول فصل النصب من قسم التحقيق .

(٣) من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس ص ٨ وما بعدها (بتصرف) .

كما اختلف البصريون فيما بينهم ، فإذا ظهر لأحدهم أن ظاهرة ما قد ورد لها عن العرب قدر من الشواهد وتصور أنه يكفى نادى بقياسيتها ، على حين يرى آخر عدم كفاية هذه الأمثلة فيقول بسماعية تلك الظاهرة .

وببحث هذا الموضوع فى نص كتابنا المحقق (شرح المقـدمة النحوية) نجد أن ابن بابشاذ قد اهتم بالقياس كثيراً فى عرض مسائله لدرجة أننا كنا نجده يأتى فى نهاية معظم المسائل بعبارة : قس على هذا تصب ، أو : فقس عليه وفقك الله للصواب . . . الخ .

وقد تعرض أبو الحسن بن بابشاذ لفكرة القياس والسماع بالتعريف موجزا فى أول مقدمة كتابه وهو يوضح التفسير الصناعى لعـلم النحو — قال : وأهل هذه الصناعة استخرجوه من كلام الله تعالى والـكلام الفصيح ، والطريق الذى استخرجوه به طريقان : السماع والقياس ، فالسماع بالتتبع والتصفح ، والقياس بحمل شىء على شىء بضرب من الشبه فلذلك قلنا : هو علم مستنبط بالقياس والاستقراء .

ومن الإحصاء نجد أنه تعرض فى أكثر من عشرين موضعا للقياس على حين تعرض للسماع فى سبعة مواضع فقط .

ومع أن ابن بابشاذ كانت ميوله إلى المدرسـة البصرية إلا أنه لم يـكن متشددا ، فى أقيسته ، ولـكنه توسط بين المدرستين فـكان يقيس على نسبة محدودة من الأمثلة ولا يشترط عدداً موفورا منها .

وركز ابن بابشاذ كثيراً فى معظم فصوله ومسائله على ضرورة القياس على أى قاعدة يصل إليها أو يقررها .

ونود فى النهاية أن ندعم ماذكرناه بإيراد بعض النماذج التى توضح ميوله للقياس واطراد المسائل القياسية عنده :

١ — فمنها ماجاء فى فصل الاسم (علل مالا ينصرف) قال :

« ولما كان المؤنث لايخلو من أربعة أقسام ، مؤنث بغير علامة كزينب وسعاد ، ومؤنث بعلامة هى تاء كسلمة وصالحة ، ومؤنث بعلامة هى ألف مقصورة كحبلى وسكرى ، ومؤنث بعلامة هى ألف ممدودة مثل : صحراء وطرقاء ، تمثل ذلك بأربع مسائل لتقيس أنت عليها كل مايجرى هذا المجرى .. » .

٢ — ومنها بفصل الاسم كذلك فى آخر حديثه عن الأسماء الستة حيث قال :

« فأما قراءة من قرأ (ومحياى) بإسكان الياء فإنه غير مقيس عليها بل قراءة الجماعة أمضى وأشبه بالقياس ، ووجه هذه القراءة اعتقاد الوقف » .

٣ — وقال فى فصل العامل (المصدر المؤول) : « ومتى دخلت الألف واللام على المصدر كان حكمه حكم التنوين ، وظهر إعراب الفاعل والمفعول به مثل : يعجبنى العلم زيدٌ خبرَكَ — وبطل الجر لأنك لاتجمع بين الألف واللام والإضافة فى باب المصادر لأن إضافته حقيقية فهذه ثلاثة أوجه تجوز أبداً فى إعمال المصادر أعنى إثبات النون والإضافة وإدخال الألف واللام فقس عليه فإنه كبير واسع .

٤ — وحينما يلتقى ابن بابشاذ بنصوص القرآن الكريم فهو لايتحيز للقياس بل يعارضه، ويقف ضده لو تعارض هذا القياس مع نص من نصوص القرآن فنجده يقول فى تقديمه لفصل الخط : « والقرآن الكريم فعلى أعلى رتبة البيان ، وليس له تعلق بالأوزان فمنه مايأتى على الأقيسة النحوية وهو الأكثر ، ومنا مايأتى على غير أقيستهم وخاصة مايتعلق بالمصاحف مصاحف أهل الكوفة ، وكل مسلم متبع كالنص الذى يرتفع معه حكم القياس فلايجوز العدول إلى القياس مع وجوده » .

ونورد كذلك بعض النماذج لتدل على اهتمام ابن بابشاذ بالسماع إلى جانب اهتمامه بالقياس فى عرضه لقضايا النحو المختلفة بشرح المقدمة النحوية.

١ — قال فى فصل النصب (المفعول به) : « ومثال مايتعدى بنفسه تارة وتارة بحرف الجر وهى أفعال قليلة تحفظ ولا يقاس عليها مثل : شكرت زيداً وشكرت لزيد ، ونصحت زيدا ونصحت لزيد ، وكلت زيدا وكلت لزيد ، ووزنه ، ووزنت له . . وإنما كان هذا مسموعا غير مقيس عليه لأنه ينبغى أن تكون دلالة الفعل على المفعول دلالة متفقة غير مختلفة ودلالة المتعدى دلالة المتسلط بنفسه ودلالة المتعدى بحرف جر دلالة المتسلط بغيره ، فلذلك وقف على المسموع » .

٢ — ونموذج آخر فى علاج مسألة التعدى للفعل (من فصل العامل) قال فيه :

« فأما الفعل الملحق بهذا وهو شكرت زيداً وشكرت له فموقوف على السماع وفيه مذهبان ، من الناس من يقول : إن الأصل الجر ، ثم حذف الجار فتعدى الفعل فنصب ، ومنهم من يقول : هما لغتان بمعنى واحد ، لغة قوم يعدون هذا الفعل بواسطة ، ولغة لآخرين يعدونه بنفسه ، وفى كتاب الله تعالى الأمران (أن اشكر لى ولوالديك) . وقال تعالى : وإذا كالوهم أو وزنوهم .) » .

٣ — وقد احتج أحيانا بالسماع والقياس حول مسألة واحدة . . قال فى قسمة الأفعال بفصل الفعل : « وقسمة الأفعال ثلاثة ، ماض ومستقبل ولاماض ولامستقبل وهو الحال، فإن الدليل على كونها ثلاثة السماع والقياس فالسماع قوله تعالى : (له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) ، والقياس أنا وجدنا فى كلامهم حرفا لنفى المستقبل مثل : لا ولن ، وحرفا لنفى الماضى مثل : لما ولم ، وحرفا لنفى الحال : ما — فدل على أن الأفعال ثلاثة كما أن الحروف الدالة على ذلك ثلاثة » .

* * *

(ب) العامل عند أبي الحسن بن بابشاذ :

لقد كان أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ صاحب رأى واتجاه واضحين فى « العامل » حيث اهتم كثيراً بذكر العامل فى بعض المسائل التى تستلزم ذكره .

ومن فرط اهتمامه بالعامل نجده قد أفرد فى أهم كتبه التى صنفها : « شرح المقدمة النحوية » نقول أفرد فصلا كاملا هو من أطول فصوله بل وأشمل فصول الكتاب العشرة على الإطلاق .

ولو نظرنا فى هذا الفصل الهام من كتابه لوجدناه يقول فى تعريفه وإلقاء الأضواء الكاملة عليه :

« العامل هو ما عمل فى غيره شيئاً من رفع أو نصب أو جر أو جزم على حسب اختلاف العوامل . وإنما كان كذلك لأن العامل لما وجد مؤثراً فى المعمول عملا سمى عاملا كما أن الفاعل لما وجد مؤثراً فى المفعول أثراً سمى فاعلا ، ألا ترى أنك إذا قلت : قام زيد — كان قام هو الرافع العامل للرفع ، فإذا قلت : رأيت زيداً — كان رأيت هو الناصب العامل للنصب ، وإذا قلت : مررت بزيد ، كانت الباء هى الجارة العاملة للجر ، وإذا قلت : لم يضرب — كانت لم هى الجازمة العاملة للجزم ، فلذلك سميت العوامل فلا تجد مرفوعا إلا برافع ولا منصوبا إلا بناصب ، ولا مجروراً إلا بجار ، ولا مجزوما إلا بجازم ، كما لا يكون محدث إلا بمحدِث ولا مؤثر إلا بمؤثر ، فالله تعالى فاعل كل شىء وخالقه تعالى علوا كبيراً . فإذا ثبت هذا فجملة العوامل أربعة أشياء : معنى وفعل وحرف واسم — ثلاثة لفظية وهى الأخيرة ، وواحد معنوى وهو الأول » .

وهكذا نرى من خلال عرض هذا النموذج من تقديم ابن بابشاذ لفصل العامل نرى مدى اهتمامه به وتعريفه ودوره فى كل حركات الإعراب ولم

سمى عاملا ، وأهمية العامل باعتبار أن أى شىء لايمكن أن يحدث إلا بمحدث فلا يكون الرفع إلا برافع ولا النصب إلا بناصب ، وكذلك كان الجر والجزم ، وأكد فى النهاية ذلك بقوله أن الله تعالى فاعل كل شىء وخالقه .

والعوامل عنده — كما هى عند غيره من النحاة : معنوية ولفظية ، فاللفظى هو العمل الذى يحدثه فعل مثل كان وأخواتها ، أو يحدثه اسم مثل أسماء الفاعلين والمفعولين وغيرها . . أو يحدثه حرف مثل حروف الجر. والمعنوى هو ما عمل فى غيره بدون عوامل ظاهرة كعامل الرفع فى المبتدأ أو فى الفعل المضارع .

وقد لاحظنا أن ابن بابشاذ كان صاحب رأى واضح ومستقل عن غيره من النحاة فى مسألة العامل المعنوى فلم يقف مع البصريين أو الكوفيين فهو يقول :

« والمعنوى هو عامل الرفع فى المبتدأ كقولك : زيد قائم وعبد الله منطلق فزيد ونحوه مرفوع لابد له من رافع ، وليس فى اللفظ ما يرفعه من شىء قبله ولا بعده فوجب أن يكون العامل معنويا لا لفظيا ، وذلك المعنوى هو الابتداء وذلك الابتداء هو الاهتمام ، وذلك الاهتمام هو جعلك الشىء أولا لشأن يكون الثانى حديثاً عن الأول المجرد من العوامل اللفظية . وهذا هو العامل المعنوى وقد دقت معرفته على قوم من البصريين والكوفيين فعبروا عنه بغير هذه العبارة ، قال أبو العباس (المبرد) : الرافع للمبتدأ هو التجرد من العوامل فجعل التجرد هو الرافع ، وهذا فيه بعض مافيه لأن التجرد من العوامل عدم العوامل ، ولا يكون عـــدم الشىء موجبا لعمله ، وقال الكوفيون : إن الرافع للمبتدأ هو الخبر ، والرافع للخبر هو المبتدأ — وهذا أيضاً أعجب من الأول لأنه لايكون الشىء عاملا ومعمولا من جهة واحدة لما فيه من التضاد ، والصحيح ماقد مناذكره فاعتمد عليه فى كل مبتدأ وخبر إذا طالبت نفسك بمعرفة الرافع تصب إن شاء الله تعالى » .

ولم يقتصر اهتمام أبى الحسن طاهر بالعامل على فصل العامل لحسب بل تعداه إلى فصول أخرى فنجده مثلا يقول فى فصل النصب :

« والعامل أبدا فى المفعول معه يكون فعلا لامعنى فعل فالفعل مثل : استوى الماء والخشبة ونحوه ، والمعنى الذى لايجوز أن تقول: زيد فى الدار وعمرا لأن العامل معنى وليس بفعل ، فإن صرحت بمع جاز أن تقول زيد فى الدار مع عمرو لأنك أن اعتقدت فى : مع — أنها حال فالأحوال تعمل فيها المعانى ، وأن اعتقدت أنها ظرف فالظروف تعمل فيها المعانى فلذلك جازت المسألة مع (مع) ولم تجز مع الواو » .

وفى تقسيمه لفصل العامل نجده تحدث فى فصل العامل حديثا مطولا مفصلا فتحدث عن العوامل اللفظية من الأفعال والحروف والأسماء . فالأفعال ذكر منها ما يرفع الاسم وينصب الخبر ، وما ينصب المبتدأ والخبر ، وما يتعدى إلى مفعولين وثلاثة مفاعيل ، ومفعول واحد ، وما يتعدى بواسطة ، وما يبنى لما لم يسم فاعله ، والأفعال الجامدة العاملة ، وتناول بعد ذلك الحروف العاملة جميعها ، وأشار فى ذلك إلى ما ذكره فى فصل الحرف ، وفى النهاية تكلم عن الأسماء العاملة — المشتق وما يقع موقع المشتق وما ليس بمشتق أو واقع موقعه ، وفى المشتق تناول أسماء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهة وأسماء الأفعال والمصدر المقدر بأن والفعل .

* * *

(ج) عمن أخذ وممن استفاد :

وجدير بنا ونحن نتعرض لدراسة هذا الكتاب (شرح المقدمة النحوية) ولما لاحظت فى أثناء دراستى له ولمقدمته . ولما وجدت الكتاب واعيا لجموع مسائل النحو متعمقا فى استقصائه ودرسه ، جدير بنا أن نتساءل : عمن أخذ هذا العلم الغزير ؟ ومن أين أتى بتلك المعلومات الفياضة ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل يجب أن نلقى نظرة سريعة على فهارس الأعلام الخاصة بالتحقيق ، فسوف تعطينا مؤشرا لتلك الإجابة حيث أن هذا الفهرس قد وضع المواضع التى ذكر فيها هؤلاء الأعلام الذين نقل صاحبنا عن كثير منهم واستفاد بآرائهم . فقد وجدناه أحسن الاستفادة بأساتذته والذين سبقوه ، من نحاة وعلماء وقراء وأدباء .

كما أخذ إلى جانب روايات هؤلاء ونقوله عنهم، أخذ واستمد شواهده من نبع البلاغة الأصيل من القرآن الكريم والحديث الشريف ، ومن كبار شعراء عصر الاحتجاج .

فمن النحاة الذين أخذ عنهم واستفاد بآرائهم وترددت أسماؤهم بالكتاب المذكور نجد من بينهم : سيبويه الذى نقل عنه فى ثلاثة وثلاثين موضعا ، والخليل بن أحمد فى أربعة مواضع، وأبا الأسود الدؤلى فى موضع واحد ، وأبا بكر بن السراج فى موضعين، وأبا على الفارسى فى موضعين ، والأخفش فى عشرة مواضع ، وثعلب في موضع ، والجرمى فى آخر ، وأبا إسحق فى موضع كذلك ، وابن الاعرابى فى موضع ، وابن درستويه فى موضع ، والربعى فى موضع ، وقطرب فى موضع أيضاً ، والكسائى فى ثلاثة مواضع ، ونفطويه فى موضعين ، وهم كما يتضح أئمة نحاة عصرهم من مدرستى البصرة والكوفة .

أما عن علماء القراءات فقد نقل قراءات مختلفة عن القراء : أبى جعفر وحمزة والكسائى والحسن البصرى وابن عامر وأبى عمرو وهارون وورش ويعقوب .

واستفاد ببعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال بعض العرب وحكمائهم .

وأخذ الشعر حين استشهد به عن بعض شعراء القرون الثلاثة الأولى للهجرة مثل : جرير ، وكثير عزة ، وتأبط شرا، والمخبل السعدى، وعبيدالله

ابن قيس الرقيات، وهدبة بن خشرم ، والعامرية، وجذيمة الأبرش، وزهير بن أبى سلمى ، وأمية بن أبى الصلت ، ورؤبة ، والعجاج ، وهشام ابن عقبة أخى ذى الرمة ، والقطامى ، والعجير السلولى ، وضسان بن وعلة ، وعمر بن أبى ربيعة ، وفروة بن مسيك ، وأبى مروان النحوى ، وعمرو بن قميئة ، والشماخ .

هذا إلى جانب علمه وذاكرته القوية الواعية واتصاله بمصادر النحو واللغة والأدب والقراءات منذ نعومة أظفاره وانتقاله إلى حواضر العراق إلى أن استوطن مصر ، وعاش أستاذا ومؤدبا ورئيساً لديوان الإنشاء مما أكسبه علما ومعرفة بالإضافة إلى ما كان متوفرا بين يديه من كتب، وماسمع ووعى وحفظ من علم .

الفصل الرابع

موقف ابن بابشاذ من النحاة وموقفهم منه
(من خلال كتابه)

كان أبو الحسن طاهر بن بابشاذ فى كتابه « شرح المقدمة النحوية » إماماً لنحاة عصره ، وعالماً من أبرز علمائه . . وكان لابن بابشاذ شخصيته المتميزة فى كتابه ، وكانت له آراؤه الواضحة ويعنينا فى هذا المجال أن نستبين موقفه من النحاة السابقين ، ودوره فى صراع مدرستى البصرة والكوفة ، ونتعرف كذلك على موقف النحاة المتأخرين من كتابه هذا ومدى تأثرهم به ومواقفهم منه موافقة ومعارضة .

ولكى نستوضح النقطة الأولى وهى موقف صاحبنا من سبقه من النحاة المتقدمين ، ومن مدارس النحو فى البصرة والكوفة نرى أنه كان يعرض الآراء فى المسائل النحوية بوسائل مختلفة : إما يعرض آراء البصريين ، وآراء الكوفيين ثم يرجح احدهما مع تعليل سبب ترجيحه ، أو يعرض رأياً لأحد النحاة كسيبويه مثلا ورأياً آخر لغيره ويرجح أحد الرأيين مع الاحتجاج لما يختاره . . . وفى بعض الأحيان كان يستعرض الرأيين بنظرة محايدة ولا يرجح أيا منهما ، وفى أحيان كان يدلى بآرائه مستقلة لا يرتبط فيها برأى غيره من السابقين ـ لا بل يدلى فيها بدلوه الخاص .

وببحث هذه القضية فى كتابه (شرح المقدمة النحوية) وجدنا من الواجب علينا إيراد بعض النماذج لتأكيد هذا الكلام .

(ا) ولنضرب أولا مثالين على موقفه من صراع مدرستى البصرة والكوفة ـ ونحن نعلم أنه كان بصرياً فى ميوله وإن لم يكن متعصباً فى هذه الميول ، وإنما كان دفاعه عن الآراء البصرية أكثر . فالنموذج الأول نورده من قوله فى علة تسمية الاسم (فصل الاسم) : ولما لقب هذا النوع اسماً لأنه سما بمسماه فأوضحه وكشف معناه ـ فإن هذه طريقة البصريين لأن الاسم عندهم مشتق من السمو ، والسمو هو العلو فالاسم هو الذى أبان عن المسمى شخصا كان أو غير شخص أو صفة أو معنى فرفعه إلى العقل وأخرجه إلى

الوجود فلولا الاسم لما عرف المسمى. وقال الكوفيون : أن الاسم إنما سمى اسما لأنه اشتق من السمة التى هى العلامة ، والصحيح هو الأول (رأى البصريين) وأن اشتقاقه من السمو لأن لام السمو واو تكون أخيراً ، وفاء السمة واو تكون أولا من وسمت سمة ، فلو كان الاسم مشتقا من السمة لوجب أن يقال فى جمعه أوسام ، وفى قولهم أسماء دليل على أن أصله أسما و . . ودليل آخر وهو قولهم فى تصغير اسم : سمى وأصله : سميو . . ولو كان من السمة لوجب أن تقول فيه وسيم . . . » .

فنرى من هذا النموذج مدى اقتناعه برأى البصريين واحتجاجه له ضد رأى الكوفيين بأكثر من دليل .

ونورد بعد ذلك نموذجا آخر ولكننا وجدنا فيه ابن بابشاذ أكثر حياداً بين المدرستين فلم يمل إلى ترجيح أحد الرأيين حين قال فى أحرف التأنيث (بفصل الحرف) :

« ومنها ثلاثة للتأنيث وهى الهاء والألف المقصورة والألف الممدودة فإن مثال التاء: قائمة وغرفة . . . كل هذه تاءات التأنيث . . . يوقف عليها بالهاء والتأنيث إنما هو بالتاء لا بالهاء خلاف ما يقول الكوفيون أن التأنيث بالهاء لأنهم راعوا الصورة الثابتة فى الخط ، والبصريون راعوا الأصل وهو الوصل الثابت فى النطق تاء ، والوصل هو الأصل ،ولا يعتبر بعوارض الوقف ، ومثال الألف المقصورة : حبلى وجرى وحبارى ونحوه من التأنيث بالألف والكوفيون يقولون بالياء ومراعاة للخط لكونها ياء فى الخط ، والبصريون يقولون : التأنيث بالألف مراعاة للفظ على ما تقدم ومثال الألف الممدودة: حمراء وفقهاء وأنبياء فالكوفيون يقولون التأنيث بالهمزة ، والبصريون يقولون : بالألف الممدودة » .

وكذا رأينا أبا الحسن بن بابشاذ يعرض لآراء البصريون والكوفيين فى مسألة أحرف التأنيث من مراعاة البصريين والكوفيين للخط دون أن يؤيد رأيا أو يرجحه .

(ب) ولنضرب ثانيا ثلاثة أمثلة مما ورد (فى شرح المقدمة النحوية) ندعم بها قولنا من أنه عرض آراء السابقين من أئمة النحاة ، ورجح بعضها ، ومال إليها ، ودعمها بالحجة والدليل . . وكان أبرز الذين تأثر صاحبنا بآرائهم ودافع عنها أستاذه سيبـــويه صاحب « الكتاب » — فقد عرض فى فصل الاسم اختلافهم فى (أيا) ورجح فى النهاية قول سيبويه — قال :

« ما الخلاف فى إياك الذى بين العلماء ؟ فالجواب أقوال شتى منها قول الخليل أن أيا اسم مظهر والكاف اسم مضمر . . ولم يلتزم أصحاب سيبويه هذه . . ومنها قول الكوفيين أن الكاف اسم مضمر وأيا : دعامة للكاف . وقد رد هذا بأن قيل أن أكثر الشىء لا يكون دعامة لأقله . . . ومنها قول لهم أيضاً أنه بكماله اسم مضمر وهذا أيضاً ضعيف لأن أكثر هذه المضمرات مركبات من أسماء وحروف وخاصة المنفصلات . . . ومنها قول رابع أنها كلها اسم مظهر موضوع للنصب لا غير . . ولا ينون إياك ولو كان مظهراً لجاز تنوينه ، ومنها القول المعتمد عليه وهو المذكور فى المقـــدمة : أن أيا اسم مضمر والكاف حرف خطاب ، وهذا القول هو قول الأخفش وقول سيبويه وعليه العمدة لأنه قد قام الدليل على كون الكاف حرف خطاب لامتناع أن يكون لها موضع من الإعراب . » .

وهكذا نرى التأييد والترجيح الكامل لرأى سيبويه دون آراء غيره التى اعتبرها أبو الحسن بن بابشاذ آراء ضعيفة .

ونورد النموذج الثانى هنا حيث يرجح فيه لسيبويه رأياً كذلك وهو يتحدث عن (لن) بفصل الحرف حيث قال :

« فأما — لن — فقسم واحد وفيها قولان أحدهما أنها مفردة والآخر قول الخليل أنها مركبة أصلها لا أن فحذفت الهمزة والألف تخفيفاً فبقيت لن . والصحيح قول سيبويه أنها مفردة لجواز تقديم معمول فعلها عليها مثل: زيدا

لن أضرب فلو كان أعملها : لا أن لم يجز التقديم لأن أن لا يقدم عليها ما فى صلتها ،».

وثمة نموذج ثالث فى هذا المجال يعرض فيه صاحبنا بعض الآراء ، ويرجح أحدها — جاء ذلك فى فصل العامل (العوامل اللفظية) قال :

«فأما الرافع للخبر ففيه أقوال أربعة أصحها : أن الابتداء والمبتدأ جميعا رفعا الخبر ، فإذا قلت : زيد قائم فزيد يرتفع بالابتداء ، والابتداء وزيد جميعا رفعا الخبر ، والقول الثانى : أن الابتداء وحده رفع المبتدأ أو الخبر جميعا ، والقول الثالث : أن الابتداء رفع المبتدأ وحده والمبتدأ وحده رفع الخبر ، والقول الرابع : أن كلا منهما رفع صاحبه — والأصح القولان الأولان .»

فمن خلال النماذج الثلاثة السابقة نرى كيف عرض صاحبنا آراء النحاة وذكر علة كل رأى منها ، واختار ورجح ما ارتضاه لنفسه ، واحتج له ظهر تعلقه بسيبويه ودفاعه عن آرائه فى كثير من الأحيان كما ظهر ترجيحه لآراء أخرى

(ج) ولنضرب - ثالثا - مثلا بنموذجين لمواقفه المحايدة إزاء بعض الآراء النحوية التى كان يكتفى بذكر الاختلاف فيها بين بعض النحاة فى مسألة دون تعقيب أو ترجيح .

قال فى المثال الأول بفصل الحرف (جوازم الفعل) :

« وإذما فى قول سيبويه — حرف ، وفى قول غيره ظرف ، وحجة سيبويه أنها لما ركبت معما وأخرجت عن معناها الذى كان لما مضى من الزمان صارت لما يستقبل من الزمان جرت مجرى إن فى الحرفية فتقول إذ ما تقم أقم كما تقول : إن تقم أقم ، وهى عند غيره ظرف منصوب بالفعل الأخير المجزوم بها . . . ».

فنحن نراه هنا لا يرجح رأيا على رأى آخر .

ومثا ما ان نضربه فى هذا المجال من فصل التابع (النعت) قال :

« فأما جُمَع فللتعريف والعدل ، واختلف فى العدل على قولين أحدهما أنه معدول عن جمْع الساكن العين إلى جمع لأن باب أفعل إذا جمع على فعل فبابه أن يكون مسكنا كأحمر وحمر ، والقول الآخر : أنه معدول عن جماعَى لأن باب فعلاء ، إذا كان اسما جمع على فعالى مثل : صحراء وصحارى فهذان قولان كما ترى » .

(د) ولنضرب — رابعا وأخيرا — مثلا بنموذجين لآرائه المستقلة التى لا يرجـــح فيها رأى أحد كما أنه لا يقف بين الرأيين عارضا لهما بلا تعنت ، ولـكنه يتخذ رأيا مستقلا محدداً وقد يخالف أحيانا رأى أحد كبار النحاة ويتخذ لنفسه موقفا يدعمه بالحجة والدليل ، ونجد ذلك فى النموذج الأول بفصل العامل (العوامل اللفظية) قا

« .. فإن قيل : ما العلة التى لأجلها كان الفعل المستقبل معربا ؟ قيل : المضارعة للاسم ، فإن قيل : فـكيف هذا النقل من العموم للخصوص ؟ فقل : لأنك تقول زيد يقوم فيصلح للزمانين الحال والاستقبال — وهذا عموم ، فإذا أردت إخلاصه للاستقبال أدخلت عليه السين أو سوف فقلت : سيقوم أو سوف يقوم » .

والمثال الأخير الذى نستشهد به فى هذا المجال هو أحد آراء صاحبنا التى استقل بها وخالف فيها أبا العباس المبرد وذلك حين قال فى آخر فصل الجر (البناء على الـكسر) .

« .. حذام وقطام اسمان علمان مبنيان كبناء أسماء الأفعال ، وإنما بنيا وليس أصلهما فعلا لأحد أمرين أحدهما : علة أبى العباس (المبرد) أنه كان فيه التعريف والتأنيث ، فلما اجتمع إلى ذلك العدل من حاذمة وقاطمة بنى لأنه ليس بعد

ترك الصرف إلا البناء ، والعلة الصحيحة أنه بنى لتضمنه معنى الحرف الذى هو تاء التأنيث من خاذمة وقاطمة لأن الاسم إذا تضمن معنى الحرف بنى وليس كثرة العلل موجبة للبناء.. ».

وبعد أن أبرزنا موقف صاحبنا أبي الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ — من خلال كتابه — من النحاة المتقدمين ننتقل بعد ذلك لتوضيح موقف النحاة المتأخرين من ابن بابشاذ من خلال آرائه التى نقلوها عن كتابه (شرح المقدمة النحوية) كذلك . .

ولعل فيما قلناه بالفصل الثانى من الباب الثانى أحسن دليل على ذلك حين تناولنا آراءه النحوية بالحديث والتحليل ، ونورد هنا نموذجين لهذه الآراء وتعليق النحاة المتأخرين الذين نقلوها كى نتعرف على موقفهم منه مخالفة وموافقة فنجد أن الأشمونى(١) قد نقل فى شرحه تعليقاً على الشاهد القائل :

« ألا حبذا أهل الملا غير أنه إذا ذكرت مى فلا حبذا هيا

قال فى شرح التسهيل : أغفل كثير من النحويين التنبيه على امتناع تقديم المخصوص فى هذا الباب ، قال ابن بابشاذ : وسبب ذلك توهم كون المراد من زيد فى حبذا — حب هذا ، قال فى شرح التسهيل : وتوهم هذا بعيد فلا ينبغى أن يكون المانع من أجله بل المنع من إجراء حبذا مجرى المثل » .

ويتضح من النموذج أن ابن بابشاذ يضع العلة لإغفال النحويين التنبيه على امتناع تقديم المخصوص على حبذا فى توهم هؤلاء النحويين كون المراد من زيد فى حبذا زيد — حب هذا . ونجد أن ابن مالك قد عارضه فى شرح التسهيل بأن توهم ذلك بعيد ولكن المنع — من وجهة نظره — من إجراء حبذا مجرى المثل .

وثمة نموذج آخر نأتى به هاهنا — وفيه موافقة المتأخرين لأحد آراء —

(١) الصبان على الأشمونى ٣ / ٤١

صاحبها التى نقلوها عن (شرح المقدمة النحوية) بعد أن عرضنا نموذجا فيه معارضتهم له .

قال فيما نقله الصبان(١) عن الفارضى عن سيبويه أنها — أى هلا وألا وألا — كلها للتحضيض سواء وليها ماض أو مضارع ، وأبو الحسن بن بابشاذ : إن وليهن المستقبل كن تحضيضاً للفاعل على الفعل ليفعله نحو : هلا تضرب اللص ، وإن وليهن الماضى كن توبيخاً لا تحضيضاً لامتناع طلب الماضى نحو : لولا ضربت اللص أى : لأى شيء ما ضربته .

فنرى أن بابشاذ قد أضاف على رأى سيبويه فى المسألة إضافة جديدة ومفيدة استحسنها الفارضى والصبان فنقلاها عنه فى هذا الكلام .

ومن النماذج السابقة نرى أن لابن بابشاذ مكانته المرموقة بين النحاة السابقين والخالفين سواء أوافق النحاة وعارضهم أم وافقه النحاة وعارضوه ولا ريب فى أن كتابه « شرح المقدمة النحوية » كان علما بين كتب عصره وسوف يظل علما بين أمهات كتب النحو فى لغتنا العربية الخالدة .

وبانتهاء الفصل الرابع من الباب الثالث تكون دراستنا قد انتهت لهذا الأثر العلمى الكبير (شرح المقدمة النحوية) لأبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ.

* * *

---

(١) الصبان على الأشمونى (٤ : ٥٠) .

أخيراً :

الخاتمة ونتائج البحث

الخــــاتمة

وإنى إذ قد انتهى بى المطاف إلى هذا الحد الذى تطلبه المنهج الذى رسمت ، وارتضاه البحث الذى بحثت ، وحيث أنى أوفيت - بفضل الله وتوفيقه - على ما طلبت ، ورسمت له الصورة التى ارتضيت ، يحسن بى أن أجمل المعالم الرئيسة للبحث فى هذه الخاتمة التى تتوج هذا العمل موضحة خطوطه وملامحه ، مبينة ما حققت من نتائج وإضافات .

موضوع بحثنا : « شرح المقدمة النحوية لابن بابشاذ - تحقيق ودراسة » وكان كل سعى ومنتهى أملى أن أقوم بإخراج هذا الكتاب الهام فى أفضل صورة يرضاها ابن بابشاذ نفسه لكتابه بالإضافة إلى رسم صورة واضحة المعالم بينة القسمات لكتابنا وصاحبه أبى الحسن بن بابشاذ فأجلى شخصيته كما أتعرف على أثر كتابه عند الخالفين ممن تبعه من النحاة وأقدم له دراسة مستوعبة تحقق الهدف المطلوب .

ورسمت لنفسى منهجا واضحاً اقتضى أن يقع البحث فى قسمين يحوى أولهما الدراسة ، ويشمل الآخر منهما التحقيق .

أما عن القسم الأول : فقد قمت فيه بتقسيم موضوعات الدراسة إلى أبواب ثلاثة سبقتها مقدمة وأعقبتها خاتمة .

فى المقدمة : عرضت الموضوع عرضاً عاما ، وأوضحت منهج البحث وأسلوب الدراسة .

وفى الباب الأول : جعلته تمهيداً تحدثت فيه عن شخصية ابن بابشاذ وعصره ، وقسمت الباب إلى ثلاثة فصول عرضت فى الأول لعصره الذى عاش فيه من خلال نبذة تاريخية ، وحديث عن المدرسة البصرية التى انتمى إليها وعرضت فى الثانى لاسمه ومولده ، ونشأته وثقافته وصناعته وصفاته ووفاته ، على حين تعرضت فى الثالث لأساتذته وتلاميذه .

ففى الحديث عن عصره رأيت ابن بابشاذ قد عاصر الدولة الفاطمية فى أوج مجدها بمصر فى القرن الخامس الهجرى ، فأرخت بإيجاز للحال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية آنذاك ، وأوضحت البيئة العامة التى نشأ فى ظلها أبو الحسن بن بابشاذ وما تردد فى جنباتها من أصداء ، وما كان للثقافة فيها من نمو وازدهار ، ثم تحدثت معرفا بالمدرسة البصرية التى انتمى إليها صاحبنا كما أشرت إلى مجموع النحاة الذين عاشوا على أرض مصر وكان لهم اتجاه يمكن تسميته باتجاه النحاة المصريين من الترتيب وحسن التنسيق ، ثم انتقلت للحديث عن بعض معاصريه بمصر إتماما للصورة التى أردت عرضها فى هذا الجزء من التمهيد .

وفى أثناء تناولى للفصل الثانى وهو الذى عالجت فيه شخصية ابن بابشاذ وحياته من جميع المناحى فقد عرضت كل ماروى عن اسمه ، ورجحت الاسم الشائع ونقيته من النسبة لأهله أو حرفته . وفسرت معناه وطريقة كتابته ، وناقشت آراء بعض المحدثين حول أصله وموطنه ، كما حققت تاريخ مولده الذى لم يتعرض له المؤرخون ورجحنا أن يكون سنة أربعمائة للهجرة تقريبا ، وانتقلت متحدثا عن نشأته الأولى فى بلاد الديلم ثم انتقاله لتلقى العلم فى العراق حتى نال طلبته من العلم فى مختلف فروعه . ثم رحلته حتى استقر فى كنف الدولة الفاطمية بمصر التى عاش فيها أستاذاً مبرزا بجامع عمرو بن العاص ثم وزيرا لديوان الإنشاء

وتحدثت عن ثقافته واهتمامه باللغة والنحو اللذين كان إمام عصره فيهما على حد تعبير كثير ممن ترجم له - ثم تعرضت لصناعته من تجارة الجوهر ، ثم الإقراء بجامع عمرو ، ثم ديوان الإنشاء حتى تزهد فى آخر حياته .

واستنتجت بعد ذلك صفات صاحبنا ، وأبرزت ملامح شخصيته ، فهو العالم الجليل ، الأستاذ الإمام فى اللغة والنحو ، وهو صاحب الجاه والسلطان وهو فى آخر حياته الزاهد الورع المتواضع .

وتناولت فى آخر هذا الموضوع تاريخ وفاته واتفقت فى هذا التاريخ مع باقى المؤرخين الذين أكدوا أنه مات سنة أربعمائة وتسع وستين من الهجرة حين لقى مصرعه من بعد أن زلت قدمه من إحدى فتحات الضوء بسقف جامع عمرو بن العاص .

وفى الفصل الثالث من الباب الأول تناولت بالحديث أساتذته وتلاميذه فتحدثت عن أساتذته الذين اعتبرنا أنهم كبار نحاة البصرة بالإضافة إلى العدد اليسير من الأسماء التى تعرفنا عليها بعد عناء وجهد — حيث لم تتعرض كتب التراجم لشيوخه أو أصحابه فتعرضنا لهذه النقطة من باب الاجتهاد وقد حاولت تتبع سيرة تلاميذه كذلك من خلال كتب التراجم التى افتقرت إلى هذه النقطة كسابقتها ولكننا وفقنا فى الترجمة لبعضهم، والتعرض لآخرين من شراح المقدمة الذين اعتبرناهم مجازا من تلاميذه .

ويأتى الباب الثانى : متناولا بالعرض والدراسة والتحليل تصانيف ابن بابشاذ وآثاره العلمية ، ولقد وفيت الكلام عنها عارضا فى الفصل الأول منها لبعض نماذجها محللا إياها مستنتجا أسلوبه وطريقته ، ووصفت مخطوطات كل كتاب بما تيسر لى وأرشدت إلى أماكن وجودها وأرقامها ، وصنعت فى بداية الباب قائمة إحصائية بتصانيف ابن بابشاذ موضحاً آراء علماء التراجم فيها ، وبعد عرضى لآثاره الموجودة تعرضت لكتابه الضخم المفقود شرح الجمل أو تعليق الغرفة ، وأثبت كل ما وصل لدى من معلومات حولها

وفى الفصل الثانى من هذا الباب استعرضت آراء ابن بابشاذ النحوية التى استقصيتها من خلال بحثى فى سبعة من كتب النحو ومصادره وفصلت آراءه المنقولة من شرح المقدمه النحوية عن تلك التى نقلوها من كتبه الأخرى ، وبينت ما نقل منها بالنص ، وما نقل بالفكرة ، وعقبت على كل منها ، وأثبت نصوص شرح المقدمة لربطها بما نقله النحاة عنها .

ويأتى بعد ذلك الباب الثالث وهو باب أفردته لأهم وأخلد آثار ابن بابشاذ النحوية وهو كتاب : الجمل الهادية فى شرح المقدمة الكافية .

وقد قمت ببيان ووصف جميع النسخ المخطوطة للمقدمة ولشرح المقدمة سواء تلك التى تمكنت من استجلابها واقتنائها أو التى لم نتمكن من اقتنائها ، وسجلنا عنها كل البيانات الوصفية المطلوبة .

وبتحقيق لهذا الكتاب أكون قد أضفت أثرا علميا هاما لابن بابشاذ إلى المكتبة العربية .

وفى أثناء علاجى لكتاب (شرح المقدمة النحوية) قمت بتوثيق الكتاب من خلال عرض بعض النماذج التى نقلها عنه مصادر أخرى سواء بالنص أو بالفكرة ثم رتبت النسخ ترتيبا زمنيا ، وأصلنا إحدى النسخ واعتمدنا عليها ، وطابقنا النسخ الأخرى على النسخة العمدة .

وبعد توثيق للكتاب عرضت لمنهج المؤلف وقدمت تحليلا موضوعيا لكتابه ضمنته ثلاث عشرة نقطة تعتبر جميعها استنتاجات وصلنا إليها من خلال دراستنا للكتاب داعمين آراءنا بالنماذج والأمثلة المختلفة من بين ما جاء بنص الكتاب ومسائله المختلفة ، وتلك النقط التى قررنا فيها النتائج التى نشير إليها هى :

(ا) التجديد فى منهج التأليف .

(ب) التيسير والوضوح فى عرضه للموضوعات .

(ح) دقة التقسيم والتسلسل المنطقى .

(ء) استقصاء الحديث فى موضوع واحد .

(ﻫ) الإجمال بعد التفصيل .

(و) مزج النحو باللغة والتصريف .

(ز) الاحتجاج بالقرآن الكريم وقراءاته .

(ح) الاحتجاج بالحديث الشريف .

(ط) الاحتجاج بالشعر وأقوال العرب .

(ى) الاصطلاحات عند ابن بابشاذ .

(ك) موقفه من القياس والسماع .

(ل) العامل عند أبي الحسن بن بابشاذ .

(م) عمن أخذ ومن استفاد .

فأعطيت بتلك الأمور لهذه الكتاب حقه من الدراسة — قدر استطاعتي .

أما في آخر جولاتي مع دراسة الكتاب فقد تعرضت في الفصل الرابع من الباب الثالث لموقف ابن بابشاذ من النحاة السابقين ، وموقف الخالفين منه ومن كتابه موافقة ومعارضة ، وقد استعنت في ذلك باستقصاء آرائه التي نقلها أو رجحها أو خالف فيها عن البصريين أو الكوفيين أو سيبويه وغيره من علماء النحو الذين سبقوا ابن بابشاذ ، وكذلك وضحت آراءه المستقلة التي انتهج فيها نهجا خاصا ، ولم يمل إلى أي رأي فيها . . كما وضحت موقفه الذي اتسم أحيانا بالحياد إزاء بعض المسائل النحوية التي كان يعرض الخلافات حولها ولايدلي فيها بدلوه . . ثم انتقلت إلى بعض كتب النحو التي ألفت بعد عصره ونقلت آراءه عنه ، وعرضت بعض نماذجها مما وافقه أصحابها في بعضها ومما خالفوه في بعضها الآخر .

ويأتي في النهاية حديثي عن الخاتمة ونتائج البحث التي نستعرضها بجملة في الآتي :

أولا : حددنا الفترة التي عاش فيها ابن بابشاذ ومرحلتها السياسية .

ثانياً : نسبناه لمدرسته النحوية استنتاجا .

ثالثاً : استنتجنا أسماء معاصريه من خلال الحقبة التي عاش فيها .

رابعاً : رجحنا كتابة ورسم لقبه .

خامساً : أكدنا موطنه ومكان نشأته وناقشنا الزعم الذى ورد حول ذلك .

سادساً : رجحنا سنة مولده ، وكيفية نشأته ثم رحلته .

سابعاً : استنتجنا أسلوب ثقافته .

ثامناً : رجحنا عمله وصناعته .

تاسعاً : استنتجنا عهد الخليفة الذى عين فيه وزيرا للإنشاء .

عاشراً : كما استنتجنا صفاته ، ورجحنا أنه تزوج فى أول حياته ولم يعقب ذرية ووضحنا رأينا فى طريقة زهده .

حادى عشر : اعتمدت دراستنا لأساتذته وتلاميذه كلها على الاستنتاج .

ثانى عشر : رسمنا من خلال دراستنا ، منهج ابن بابشاذ فى شرح المقدمة النحوية .

ثالث عشر : رتبنا زمن تأليف « شرح المقدمة النحوية» بعد تأليفه لكتاب « شرح كتاب الأصول » وقبل تصنيفه لكتاب تعليق الغرفة .

رابع عشر : حاولنا جمع فكرة مقبولة عن كتابه المفقود « تعليق الغرفة » وأثبتنا حوله بعض الاستنتاجات عن تصنيفه .

خامس عشر : استقصينا آراءه التى لم تستنبط من « المقدمة وشرحها ، ورجحنا مواطن استقصائها

سادس عشر : استنبطنا منهجه وطريقة علاجه للمسائل النحوية من خلال آرائه المنقولة عنه فقررنا وحكمنا بدقته وترتيبه المنطقى وإيجازه وتركيزه وعمقه .

سابع عشر : كان الباب الثالث فرصة طيبه لتقديم دراسة مفيدة عن كتابنا حيث وضحنا مخطوطاته ، ووثقنا الكتاب ، ونسبته لصاحبه ، ورتبنا نسخ المخطوط المختلفة زمنيا ، واعتمدنا إحداها لأسباب موضوعية وضحناها .

ثامن عشر : استنبطنا طريقته المجددة ومنهجه فى التأليف مقارنة بسيبويه وابن مالك والزمخشرى ثم عرضنا لمنهجه بطريقة وصفية ، وقررنا وضوحه فى عرض الموضوعات ، ودقة تقسيمه فى تسلسل منطق ، وكيف كان يستقصى الحديث فى موضوع واحد ، وإجمال بعد التفصيل ، ومبينا كيف مزج النحو باللغة والتصريف ، ورسمنا أسلوب علاجه للشواهد من قرآن وحديث وشعر وأقوال للعرب .

تاسع عشر : استنتجنا أن ابن هشام قد حذا حذو ابن بابشاذ فى الإكثار من الاحتجاج بالقرآن . وحققنا الشواهد جميعاً ، وخرّجنا الأحاديث ، واستخرجنا الاصطلاحات ، وقارناها بالاصطلاحات المستحدثة عند ابن مالك وغيره .

عشرين : استنتجنا موقفه من القياس والسماع بعد التعريف بهما وأوضحنا مذهبه فيهما .

حادى وعشرين : أحصينا العلماء والأدباء الذين أخذ عنهم علمه ، واستنتجنا فى النهاية موقفه من النحاة وموقفهم منه .

ثانى وعشرين : ولعل آخر نتيجة خرجنا بها وأهم نتائج البحث على الإطلاق هى : إضافة أثر هام وكتاب نفيس إلى المكتبة العربية التى افتقرت إلى أمثال هذه الكتب فترة طويلة من الزمان ألا وهو كتاب « شرح المقدمة النحوية لابن بابشاذ » محققا عن معظم نسخه بأشهر المكتبات العالمية ، ومدروسا دراسة موضوعية كاملة . ويعتبر إخراج هذا الكتاب فتحا جديداً وعملا مفيداً فى مجال النحو فى عصرنا الحديث للأمور الآتية :

أولها : أنه يعتبر أول كتاب قديم يعالج مسائل النحو بأسلوب سهل ومبسط.

وثانيها : طريقته الكلية فى التبويب ، وجمعه لمكونات الكلام من اسم وفعل وحرف ، ثم الإعراب من : رفع ونصب وجر وجزم ، ثم ما يتبع الموضوعين ويؤثر فيهما من : عامل وتابع وخط .

وثالثها : أسلوبه فى العرض أسلوب تعليمى بحت لأن مصنفه أداره على صورة حوار بينه وبين تلميذه الذى أملاه عليه حيث كان يطرح السؤال ويقوم بالإجابة عليه بطريقة جميلة وتسلسل مفيد وبطريقة قد تفتقدها بعض مؤلفات النحو الحديثة مما جعل المادة قد عرضت فى سلاسة ويسر تصلح لجميع المستويات المهتمة بالنحو .

وبعد النتائج عددنا فى نهاية المطاف مراجع الرسالة ومصادرها التى تعددت وتنوعت بين المخطوطات والمطبوعات ، وصنفنا فى النهاية الفهرس المفصل لمحتويات القسم الأول الخاص بالدراسة .

أما القسم الثانى : فهو الخاص بالتحقيق لكتاب «شرح المقدمة النحوية» من النسخ الأربع التى جمعتها للكتاب ، والنسخ الأربع التى حصلت عليها للمقدمة نفسها من المكتبات المختلفة ، وذلك بعد تأصيل إحدى النسخ الأولى عمدة للتحقيق . . وقسمت العمل فى هذا التحقيق على النحو التالى :

مقدمة التحقيق : وفيها أوضحت منهجى فى التحقيق بعد أن — أعطيت صورة كاملة عن الكتاب ونسخه المختلفة .

ثم جاء النص : وقد بدأته بوضع صورة « فوتوغرافية » لكل من الورقة الأولى والأخيرة بكل نسخة من نسخ الشرح . . وبعدها أوردت النص مطابقا وذلك بعد تحقيقه وضبطه ، وتحقيق شواهده ، ونسبة كثير منها إلى أصحابها مستوفيا شروحه وتعليقاته اللازمة .

ويأتى فى نهاية هذا القسم فهارس التحقيق التى أشرت إليها فى المقدمة ،

وشملت أحد عشر نوعا من الفهارس الفنية . وكلهافهارس يتم بها التحقيق، ولا يستغنى عن أحدها البحث .

وينتهى البحث ببيان مصادره ومراجعه التى تنوعت بين المخطوطات والمطبوعات .

وبعد فذلكم ، شرح المقدمة النحوية ، أخلد ماترك ابن بابشاذ . هذا الكتاب الذى نقدمه محققا مدروساً مقدما له - فأرجوأن أكون قدوفقت فى إعطاء هذا الكتاب وهذا العالم حقه كفاء ما نافح عن لغة الضاد التى شرفها الله بالقرآن الكريم فاستمرت خالدة أبد الآبدين .

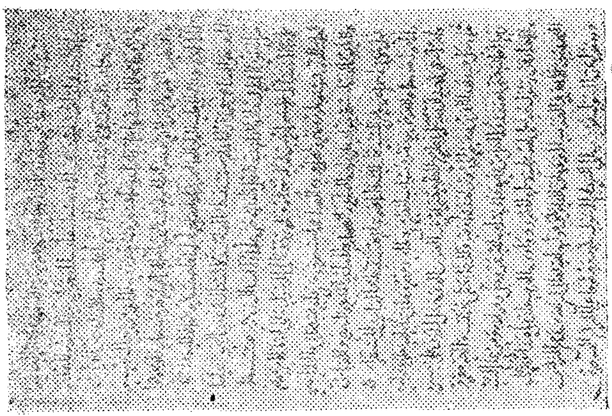
والله المستعان والموفق . . وعليه سبحانه قصد السبيل . م

فهرس مفصل

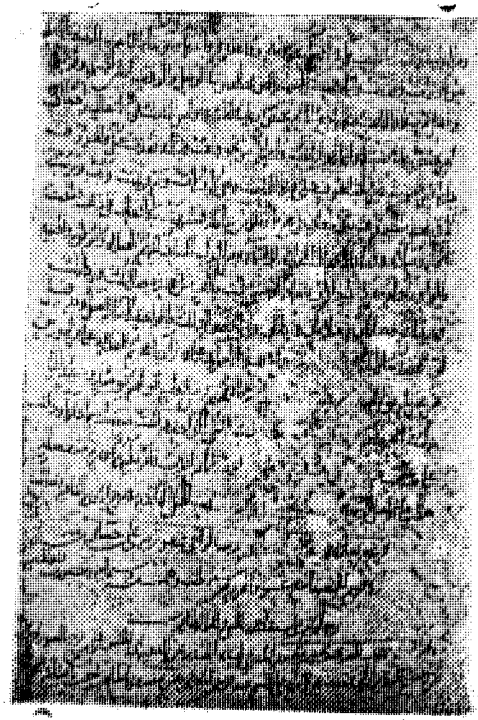
بمحتويات القسم الأول

* * *



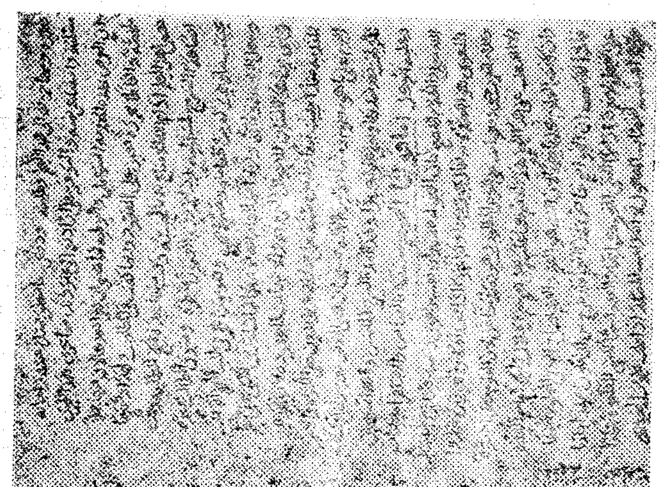


الورقة الأولى من النسخة ـ ج

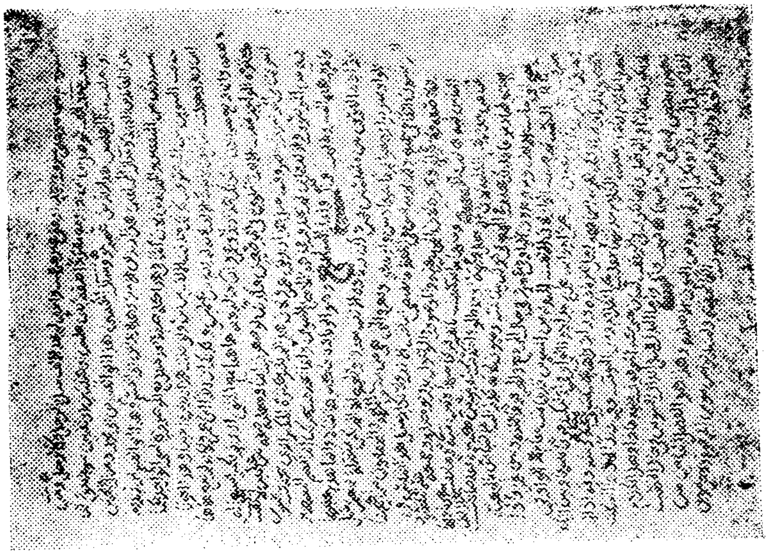


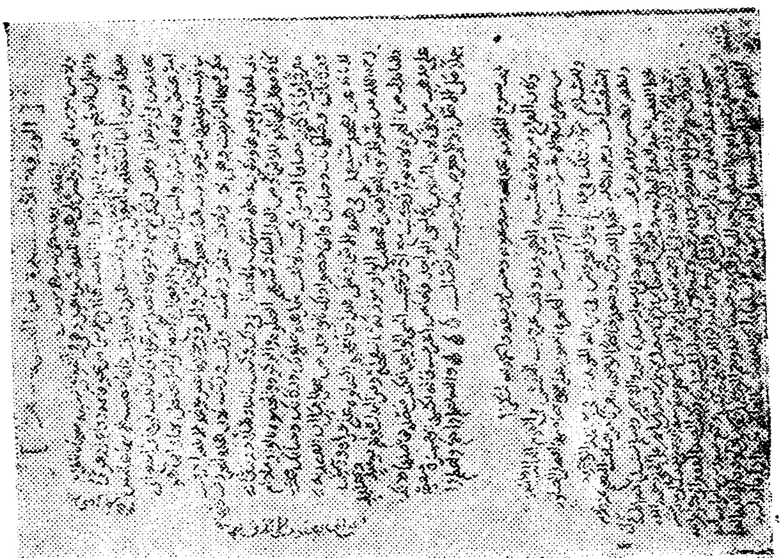
[الورقة الأخيرة من النسخة - ج]

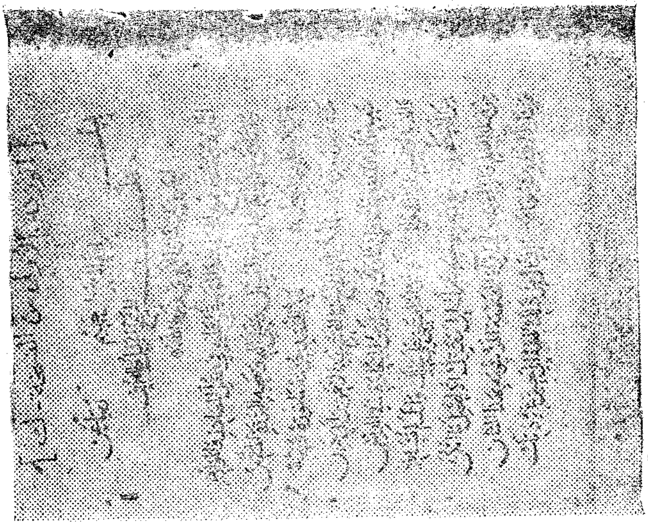


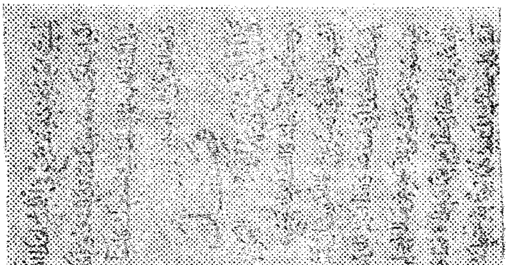


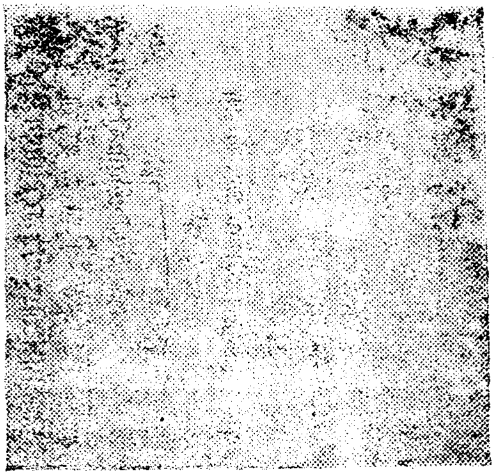
الورقة الأولى من النسخة ـ م



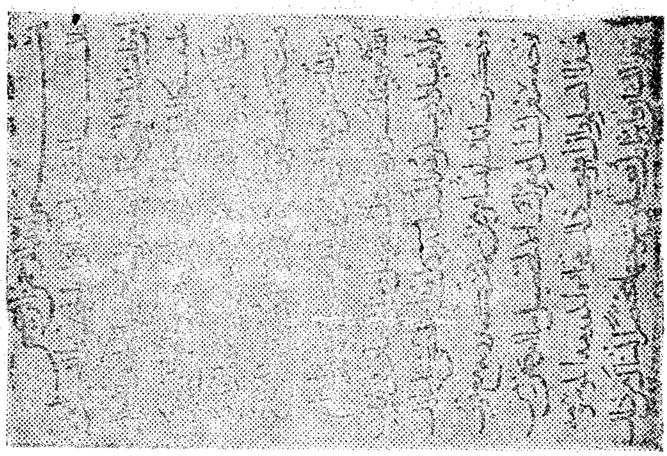


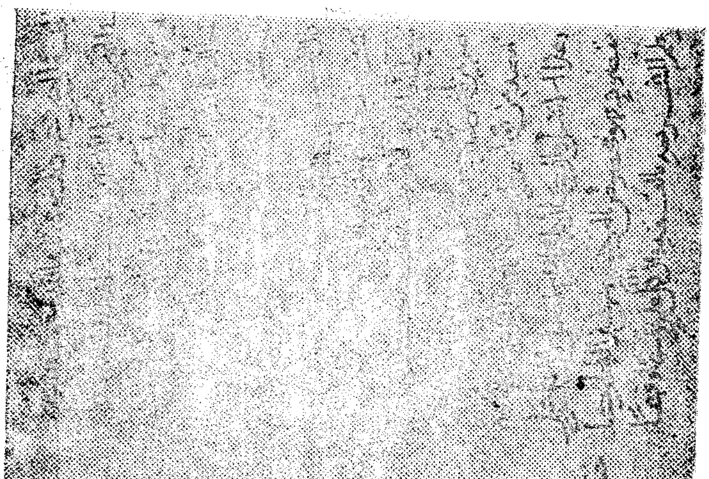




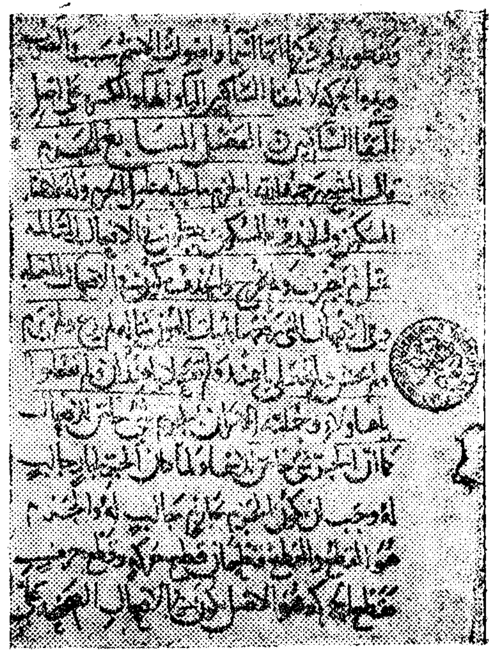


[الورقة الأخيرة من النسخة - د]





الورقة الأولى من النسخة ـ فا



[الورقة الأخيرة من النسخة – فا]